جوزتي سيسي
السنغال والثقافة الإسلامية
١٤١١هـ - ١٩٨٩م

دار شمس المعـرفة
للطبع والنشر والتوزيع
٣٨ شارع جامـع العيسوية
دار السـلام ـ المعـادى
ت : ٦٨٠٦٠٥

المؤلف

* ولد جورنى سيبى فى قـرية « خى سرير » ببوت السنغـال فى ٨ / ١٠ / ١٩٤١ .
* تلقى دراسته الأولى فى السنغال ثم بالمملكة المغربية .
* حصـل فى عام ١٩٦٨ على دبلوم اللغة العربيـة (ترجمـة) من جامعة محمد الخامس فرع فاس (المغـرب) .
* حصل فى عام ١٩٦٩ على شهادة الكفاءة فى التربية والتعليم .
* عمل (١٨٧١ ــ ١٩٨٠) مدرسا بوزارة التربية الوطنية السنغالية .
* عمل (١٩٧٦ ــ ١٩٨٠) بـدورة تدريبية برئاسة الجمهـورية لدى مكتب السيد / فرنان ديمـو ، المستشـار الفنى للـرئيس السابق / سنجـور .
* التحق بوزارة الخارجية السنغالية عـام ١٩٨٠ وعمـل (١٩٨٠ ــ ١٩٨٦) بمكتب الشئون السياسية والثقافية والاجتماعية / قسـم اوربا ، وذلك قبل أن يعين فى منصبه الحالى بالسفارة السنغالية بالقـاهرة سكرتيرا لها وقائمـا بشئون القنصلية .
* رقـاه أخيرا السيـد / عبـده ضيوف ، رئيس الجمهورية بوسام شرف الى درجة الفارس الوطنى برتبة الاسـد .

الاهــــداء

الى

سعادة الرئيس ليوبولد سيدار سنجور حامى الزنجية الذى
ساند دائما تعليم اللغـــة العربية فى الســـنغال باعتبارها لغـــة
كلاسيكية وقيمة حضارية للتراث السنغالى •

مع وافر الاحترام والتقدير والامتنان ،،،،

جـــورتى ســـيسى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ان هذا الكتاب الذى بين يديك اليوم كان فى نهاية الخمسينات مجرد حلم ، وذلك لغموض الفترة الثقافية التى اخترتها ، والتى تخص البلاد السنغالية دون غيرها ، يضاف الى هذا ذلك الحصار التقليدى المحكم الذى فرضه — على الفترة المذكورة — أولئك الذين كانوا يعتبرونها حقلا خاصا لأبحاثهم ، الا أنى كنت حريصا كل الحرص على الخروج منها بملاحظات ومعلومات قد تخول للقراء الكرام توسيع أفق تفكيرهم أو يعيدوا نظرهم فيما سبق ان كتب حول السنغال بثبات غير خالصة من المستعرين .

فمساهمة السنغال فى الثقافة الاسلامية مساهمة ايجابية يجب — فى نظرى — أن لا تبقى فى زاوية التجاوز المتعمد أو التناسى الكلى . هكذا تجد ان بعض الفصول من هذا الكتاب سلسلة مقالات قد تم نشرها تباعا — فى منتصف الستينات — فى صحيفة « العلم » لسان حال حزب الاستقلال بالملكة المغربية و « المسيرة » الجريدة العربية . التى تصدرها وزارة الانباء السنغالية والباقى موضوعات محاضرات القيتها فى الوسط الطلابى ايام كنت طالبا فى المملكة المغربية .

واريد هنا ان اخص الشكر الى الاستاذ الشيخ / تورى رئيس قسم الصحافة العربية بوزارة الانباء السنغالية والاستاذ /

موسى جاخاتى ، حفيد شاعرنا العملاق « مجخاتى كالا » وكذلك الاستاذ / هارون صو ، استاذ اللغة العربية فى مدرسة الثانوية « فانفالا نوفيل » هؤلاء الذين ساعدونى بارائهم كما زودونى بمراجع ووثائق كنت فى امس حاجة اليها . وارجو ان يلقى عملى هذا قبول الباحثين والدارسين الذين يعشقون العلم والمعرفة ،

انه تعالى ولى التوفيق

جورتى سيسى

تمهيـــد

تأسست العلاقات الثقافية بين عرب البربر وزنوج أفريقيا تاريخيا وجغرافيا منذ العديد من القرون .

فان كان عرب البربر لشمال أفريقيا الذين كانوا على اتصال بالشرق الادنى العربى قـد شـاركوا فى نشر القيم الاساسية للحضارة العربية الاسلامية فى أفريقيا السوداء فمن الاهمية بمكان الا ننسى انهم ــ قد حصلوا فى مقابل ذلك على العديد من ايرادات الحضارة الأفريقية .

لذا كان السيد / جورتى سيسى على حق فى ان يذكر بتاريخ تعمق الثقافة العربية الاسلامية فى السنغال ليفسر أهميتها فى صحة الوقائـع .

ومن جهة أخرى يبين هذا الكتاب قدرة التشبيه الاستثنائية بل وأيضا معنى فلسفة الجمال البارز عند السنغاليين ــ صفتين استثنائيتين سمحتا لهم بايراد مشاركة مميزة لأدب يسيطر عليـه هذا الصدد الفكر الدينى .

فالسنغاليين شأنهم فى ذلك شأن العرب لديهم حساسية فى سحر الفعل وكتابة الشعر العربى الكلاسيكى يفرض تحكمـات شديدة الوطأة حيث يأتى الشكل غالبا فى المقدمة على الموضوع . ويرجع الفضل الى السنغاليين فى أنهم أضافوا صفاتهم الخاصـة ومواردهم النوعية . صفات التخصص البديهى المعنى الاجتماعى ، قدرة التوصيل عن طريق قوى الطبيعة والجمع بين الحقيقة والخيال

كل الاشياء التى مكنت من هم بينهم من ان يقدموا لنا محتوى اكثر معنى فى هيئة اكثر تجردا وبذلك يستشف النبوغ السنغالى فى المؤلفات المذكورة حيث يزدهر على الرغم من الضغوط ذات الشكل الانحرافى للغاية .

لسوف يستقبل كتاب السيد / جورتى سيسى من جمهور عريض يشتاق لمعرفة واحد من المظاهر التأسيسية للماضى الثقافى لبلدينا ويكون من افضل ما يقدم للطلبة والتلاميذ ممن لا يقل اشتياقهم الى استرداد هذا الماضى ليتقدموا الى الامام . وانى اتمنى له النجاح الذى يستحقه .

ليوبولد سيدار سنجور

الموقع والمساحة والسطح

تقع بلاد السنغال فى اقصى امتداد القارة الامريقية الى الغرب بين خطوط العرض ١٨ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ شمالا وبين خطوط الطول ٢١ ، ١١ — ٣٢ ، ١٧ درجة غرب خط غرنتش .

وقد جعله موقعه هذا — منذ اقدم العصور — جسرا متينا يربط بين أوروبا وأمريكتين الشمالية والجنوبية وشرقين الادنى والاقصى ، وتقدر مساحة الأراضى السنغالية بـ ٢١٠.٣٧٠ كم٢ وتحد غربا بالمحيط الاطلسى وشرقا بـ (مالى) وشمالا بـ (موريتانيا) وجنوبا بـ غنيا كوناكرى وغينيا بساو .

هذا وتتكون معظم الأراضى السنغالية من سهول منبسطة متتابعة لا يزيد ارتفاعها عن سطح البحر اكثر من ٦٥٠ قدما ، وهضاب مرتفعة فى جنوبها الشرقى اما السواحل عموما ، فمنخفض رملى بين مصب نهر السنغال وراس الاخضر قرب العاصمة (دكار) .

ففيها أيضا مناطق الاعشاب والأشجار ، كما تغطى المستنقعات أغلب شريط الساحلى ، ويوجد بها أيضا أربعة انهار كبرى تجرى فىً مسارات موازية من الشرق الى الغرب وهى :

أولا : نهر السنغال الذى يجرى فى الحدود المشتركة فى الشرق وفى الشمال وهو من اهم انهار افريقيا الغربية طوله (١٧٩٠) كلم وهو يتالف من نهرين ينبعان من (فوطة جالو) فى غينيا ، وخلال شهرى اغسطس وسبتمبر من كل عام ، تستطيع

البواخر النهرية الصعود فى هـذا النهر حتى مدينـة « خاى »
بـ (مـالى) .

ثانيا : نهـر كاسماس الـذى يروى القسـم الجنوبى من
السـنغال .

ثالثا : نهر سالم الذى يترامى على الرمال والمناطق الزراعية
وعلى امتداد مسافة طويلة جرداء قرب البحر حيث تنشط حـركة
الزوارق الصيدية .

رابعا : نهر غامبيا الذى يجرى فى مصبه على المحيط الاطلسى
داخل اراضى غامبيا ولا يدخل الاراضى السنغالية الا عندما يصل
الى مجراه العلوى .

الطقس والسـكان

يعيش فى السنغال حاليا حوالى ٧ ملايين نسمة من عنـاصر
مختلفة لا يتكلمون لغة واحدة « الولوف » يؤلفون الاكثرية ، ويليهم
« السرير » ثم « الفـلانى » و « التكـرر » و « السـوننكى »
و « الديولا » و « المادنكى » فضلا عن مجموعة كبيرة من عـرب
موريتانيا والمغاربة واللبنانيين والسوريين الذين استوطنوا البلاد
بصفة دائمـا .

اما الطقس : فهو بالجملة جميل الا ان الحرارة تكثر والبرودة
تقل فى الاقاليم البعيدة عن تأثير البحار مثل مدينة (تمبـا) وغالبا
تنزل الامطار فى فصل الصيف عند شهر يولو واغسطس وسبتمبر .

الحياة الدينية لدى السنغاليين قبل الاسلام

ان الطقوس والمراسم والتقاليد والعقائد الممتدة الينا من الماضى السحيق تدل دلالة واضحة على ان الشعب السنغالى شعب بالغ التدين قبل أن تصله دعوة الاسلام السمحة ومع كل ذلك لم يعرف لهم دينا يجمع شملهم أو ينظم صفوفهم بل كان منهم من يؤمن بالسحر والشعوذه أو من يعبد النار والنصب والاصنام ويعتقد بتاثيرهم فى حياته الخاصة والعامة .

هذا وعلى الرغم من ان الديانات لديهم كانت تفوح منها رائحة عقيدة تدعو الى التوحيد الالهى والايمان بحياة الأخرى ففى الاوساط « الولوفية » مثلا نجدهم يقولون قبل مجىء الاسلام ما يمكن ترجمته الواحد الصمد الذى يوجد ، ان الواحد الصمد ملك يفعل فى عباده ما يشاء .

ففى الاوساط السريرية ايضا كان اذا توفى منهم الشخص فانه يدفن معه كلما كان يستعملها فى اعماله اليومية كى يستعملها من جديد فى حياته القادمة ، هكذا فان عملية حفر قبور زعمائهم كانت تستغرق أسبوعا كاملا او اسبوعين فاكثر وذلك لكثرة الهدايا التى قد تدفن معه .

كان لكل اسرة فى المدن او فى القرى آلهتها التى تهرع اليها لاستنجادها او لاستخبارها ، اما مراسم الصلاة فبالجملة ، كانت على شكل رقصات جماعية مصحوبة باصوات صاخبة تمتزج احيانا بدقات « تم تم » وكان القائمون بها يضعون اقنعة مرعبة على وجوههم ويرسمون على اجسامهم خطوطا ذات اشكال

هندسية مختلفة ، وبعد هذه التمهيدات يذبح الضحية .

اما واجبات رجال الدين فكانت تنحصر فى حفظ افراد الجماعة من الارواح الشريرة الضارة ، وطرد الشياطين وابراء المرضى بادوية تقليدية ، او صناعة ما تعصم الناس من حرز الحديد والبارود وسائر الأسلحة عند الحرب ، او انزال الامطار قسرا فى فترات جفاف طارىء .

لهذا فلما جاء الاسلام يدعو بالدرجة الأولى الى الوحدانية ، والايمان بالبعث والنشور بتعليمات بسيطة ومبادىء سليمة لا تتعارض مع الواقع الذى كانوا يعيشونه لم يكن بالنسبة اليهم فكرة جديدة ، فالصلاة مثلا ، كانت معروفة لدى السنغاليين قبل مجيىء الاسلام باسم (جل) وعيد الاضحى بـ (تبسك) وعيد الفطر بـ (كرت) والعاشورى بـ (تمخريت) اما الشعائر التى اتى بها الاسلام لم نجد لها اسماء سنغالية مثل (الزكاة) و (الحج) و (العمرة) و (الشفع) و (الوتر) و (النافلة) ... الخ .

ومهما يكن فقد بدأ السنغاليون بلهف يتعلمون المبادىء الدينية والتعاليم الاسلامية غير انهم لم يتركوا بصفة نهائية التقاليد التى ورثوها عن اجدادهم ، انما بقوا محتفظين ببعضها ، بل مصرين على ابقائها والاستمرار فيها ، نظرا لأن معظمها الاجتماعيات — لا تتنافى مع ما يدعوا اليه الاسلام وذلك بخلاف الديانة المسيحة التى لم تستطع ان تنتشر بين قلة من الافارقة

على العموم ، الا عندما تنازلت عن كثير من معتقداتها الثانوية مع تسامح كامل بالوثنية المحلية .

اتصـالهم بالشـعوب الأخـرى

ان كان ما كتب فى القرون الوسطى من طرف رحالة العرب ومؤرخيهم (١) اقدم واصح وثائق تاريخيـة مكتوبة تتكلم حـول السنغال بالاخص الجزء الشمالى منه فذلك لا يفسر اطـلاقا ان شعب هذا البلد ، كان قبل القرن العاشر للميلاد ، معزولا عـن العالم والحقيقة انه كان الاتصال وثيقا وبمدة طويلة قبل مجيىء لاسلام بطرق أهمها :

١ — الطريق الـذى كان يصـل بين الواحات المصرية وغـرب السودان ، وضفاف نهر النيجر والذى كان قدماء المصريين والفنيقيين والقرطاجنيين يسلكونه الى أعماق غرب القـارة حيث كانت حركة المتاجرة نشيطة مع شعوب وادى السنغال . ان هذا الطريق اصبح فيما بعد — يقول ابن حوقل ٩٧٥م — معطلا بسبب العواصف الرملية الهوجاء التى كانت تهـدد حياة التجار فى هذه المنطقة — ولما خافوا على أنفسهم عدلوه بسـلوك :

٢ — طريق المغرب متخطين جنوب البلاد صوب صحراء موريتانيا

---

(١) ابن الفقيه (٩٠٣ ميلادية ، اليعقوبى ٨٨٩ ميلادية ، البكرى (١٠٣٨ — ١٠٩٤) بن حوقل ٩٧٥م ابن الاثير (؟ — ١٢٣٤) العمـرى (١٣٤٦ — ١٣٠٠ ، ميلادية ابن خلدون (١٣٣٢ — ١٤٠٦ م) الادريسى (١١٥٤ — ؟) ابن بطوطة ١٣٠٤ — ١٣٧٨ ميلادية المسعودى وبن عبد الحكم .

التى كانت يسكنها الملثمون من القبائل البربرية .

٣ — طريق البحر الأحمر عبر الصحراء العربية .

بهذه الطرق كانت لأفريقيا الغربية عموما والسنغال على وجه الخصوص اتصالات وتبادلات مباشرة مع الشرق وعلى هذه الطرق أيضا تفاعلت الحضارات وتداخلت الآراء ، والأفكار . كما انعقدت صلاة واختلاط تميزت بالمصاهرة بين الزنوج والعرب أو البرابر فى الصحراء ذو البشرة السمراء — زناكه — توركة ، لبيدات ، ترارزة — الذين استقروا على الضفاف الشمالية لنهر السنغال حوالى سنة ٥٧٠م .

ونتيجة لهذه الاتصالات القديمة والاختلاط الدموى مع الافارقة تكون مع الزمن ذلك الجنس الخلاسى (الفلانى) الذى يعيش اليوم على طول ضفتى نهر السنغال فى فوطتور (السنغال) وماسينا (المالى) المتاخمين لموروتانيا ، وعلى امتداد الشريط الساطى لنهر النيجر حتى تشاد وهو المعروف فى القطر المريتانى ايضا بالحرطان (الحر الثانى) أو المزارعين أصحاب الشعر المتجعد والبشرة السوداء الذين يشكل نسبتهم ازيد من ٢٠٪ من الشعب الموريتانى .

ان أكثر الشعوب العربية البربرية مساسا والمتزاجا بحياة السنغاليين هو الشعب الموريتانى الذى علاقته بجارته ، ضاربة فى شعاب الزمن حيث انصهرت — خلالها — عادات شعبيهما ومظاهرهما الحضارية فى بوتقة ترابط يستحيل معه رد كل عنصر منهـا على حدة الى ينبوعه الاصلى ولا غرابة فى ذلك لان مملكة

(والو) كانت تضم الجزء الجنوبي لموريتانيا — فزواج أمير محمد الحبيب زعيم ترارزة بابنة ملك « والو » سنة ١٨٣١ في مدينـــة (ممكا) السنغالية كان احد الامثلة إثانة هذه العلاقات ولكن يجدر الملاحظة على ان هذه العلاقة لم تكن صافية على الدوام انما كان الموريتانيون يقومون باغارة على المنطقة الشمالية المتاخمة للنهر ويأخذون منهم السبايا يبيعونهم في الاسواق كالبضـــائع او يجعلونهم رعاة للبقر والابل والعكس بالعكس .

الأفارقة واللغة العربية

ليس من السهل ان نحدد بالذات الوقت الذى بدا فيه تسرب الثقافة العربية الى أفريقيا بصفة عامة والى السنغال على وجه التحديد ، ان علمنا ان هذه القارة والبلاد السنغالية كانت عـلى اتصال وثيق بالعرب والأمم الأخرى قبل مجيء الاسلام فجنـوب شبه الجزيرة العربية مثلا ، خضعت لفترة طويلة من الزمن لحكم الاحباش بالأخص منهـا اليمن ، حيث لا تزال آثارهم ومميزاتهم الحضارية قائمة الى يومنا هذا . وان احتضان الاحباس مائة واثنين وخمسين مهاجرا سنة ٦١٥م ، هاجروا بدينهم من مجتمع فاسـد تبنى الشك داخل اراضيها التى تعود احتضان الضعفاء والمضطهدين فى وقت كان فيه عمر الاسلام يعد باصابع يـد واحدة فضـلا عن وجود مفردات حبشية فى القرآن الكريم على حسب ما قال الامام السيوطى (١) .

---

(١) ذكر السيوطى فى كتابة (ازدهار العروس) ان فى القرآن الكريم قرابة ستة وعشرين لفظا بغير لغة العرب وانه قد ارجعها الى اللغـة الحبشية منها : حواريون ، منات فطر ، منبر ، حراب ، مصحف ، برهان ... الخ .

وامتزاج سـلالات حبشية وصومالية وسودانية وسنغالية
وغيرهم مع دماء عربية كل هذا أن كان يدل على شىء فانما يشير
الى وجود تبعية قديمة متبادلة او انتقال كثير من العادات والتقاليد
جعلت الفكر العربى قريبـة من العقل الزنجى الأفريقى والعكس
أيضا صحيح .

وهى التى جعلت الشعب الذى يعيش فى شمال وشرق هذه
القارة وغربها تحت تأثير الاسلام مباشرة منذ ظهور بوادره الأولى
فى الجزيرة العربية .

وانطلاقا من هذه الاعتبارات ، نصل الى نتيجة حتمية هى
ان اللغـة العربيـة لم تكن مجهولة من قبل الافارقة — ان كانت
الاغلبية منهم لا يتقنها — ولكنها كانت فقط مجرد لغة للتفاهم كأية
لغة اخرى ولما نزل القرآن الكريم فى وعاء حروفها وكلماتها واصبح
لزاما على كل من يتقبل الاسـلام ان يتقبل معه اللغـة العربيـة
اكتسبت هذه اللغة الابهة والعظمة والخلود التى تكتسـبها اليوم
بحكم انه لا يجوز للمسلم ان يتعبد الله سبحانه وتعالى فى الصلاة
بغير هذه اللغة .

= ليس هذا فحسب انما قال ان النبى عليه الصلاة والسلام قد تأثر بالاحباش ولغتهم وحضارتهم ، لذلك لما بلغه خبر وفاة النجاشى امر جميع الصحابة الكرام بالصلاة عليه غيابيا حيث قال : (اخرجوا فصلوا على اخ لكم) وايضا قال الامام السيوطى انه عليه السلام قد نطق ببعض الفاظ حبشية فى احدى المناسبات لقوله (ان بين يديها فتنه وهرجا) ولم يعرف الصحابة معنى الهرج فقال لهم النبى انه هو القتل بلسان الاحباش وأيضا كقوله لام خالد عندما قدمت من أرض الحبشة ، فكساها قميصه (كساء له اعلام) وجعل صلى الله علية وسلم يمسح الاعلام بيده ويقول (سناه ، سناه) بمعنى حسن حسن باللغة العربية .

وعلى اساس هـذا التلازم الطـارىء ، نرى ان الشـعب السنغالى منذ ان وصل اليه القرآن الكريم حوالى سنة ٦٣٢م اصبح يقدس هذه اللغة تقديسا عجيبا بحيث لا يراها لغة حية للتفـاهم وتدوين الافكار فحسب ، ولكنهـا لغـة للتعبد والتقرب الى الله زلفى .

ان ذهبنا الى القول بان الافارقة عرفوا اللغة العربية قبل مجيىء الاسلام فتلك فكرة يجب أن لا تثار الجدل حولها ان قبلنـا (جزما) ان انتشار اللغة العربية لا يعنى بالضرورة انتشـار الاسلام اذ ليس كل من نطق العربية معتقدا بالاسلام أو مؤمنا به ، وهناك فى العرب أنفسهم من يتكلم العربية ويكتبها ويعتبرها جزء لا يتجزأ من حضارته وتراثه الثقافى ومع ذلك لا يؤمن بالاسـلام والعكس صحيح .

فجريا وراء الشريعة الاسلامية وفهم نصوص القرآن الكريم واداء الشعائر الدينية قام السنغاليون منذ فجر التاريخ بمغامرات مثيرة على الارجل ، وعلى ظهـور الخيول والابـل ، بحيث كان البعض منهم يقطع المسافة الفاصلة بين بلاده وأراضى الحجـاز فى بحر سبع أو ثمانى سنوات مشيا على الاقدام ، أو يتسـللون الى (شنقيط) موريتانيا أو الى المغرب ومصر معرضين أنفسـهم لاخطر المصائب وذلك كله لاعتبارهم اللغة العربية مستودعا هاما للمعرفة الجوهرية أو انهم وجدو فيها ضالتهم المنشودة ، ونتيجة لهذه التبعية الثقافية كان لسنغال على وجد الزمن ، علماء تضلعوا فى الثقافة العربية وتعمقوا فى دراستها أمثال الشيخ مختار الككى ،

وقاضى مورخج ، والقاضى عمر فال والشيخ جبرن كن ، والشيخ ماصب انت جوب ، والشيخ محمد كمرا ، ومورخج كمب ، والشيخ عبد بتى ، وابراهيم جوب ، والحاج عمر الفوتى ، والشيخ موسى كمرا والقاضى مجفت كل واحمد بمب صل ، وعبد الله انياس والحاج مالك سه واحمد بنب البكى ، وبن مقداد الاب (١٨٢٦ — ١٨٨٠) وبن مقداد الابن (١٨٦٧ — ١٩٤٣) الذى كان رئيسا للمحكمة الاسلامية العليا فى « اندر » بحكم ثقافته المزدوجة (عربية فرنسية) واحمد الصغير امبى وغيرهم ممن خلفوا ورائهم مؤلفات قيمة باللغة العربية .

هذا وقد تسربت الى لغتين « بلار » والولوف بحكم هذه التبعية الثقافية مفردات عربية عن غير قصد تمسكوا بها حتى انسى البعض منهم المفردات التى كانت تقابلها فى لغاتهم الافريقية الأصلية . وعلى سبيل المثال نجد الولف أصبحوا لا يستعملون اسماء الأيام فى لغتهم الأصلية انما اكتفوا باسماء الأيام العربية مع تحريف بسيط فى حذف الاصوات التى يصعب نطقها فى مخارجهم قائلين :

التن	مقابل	الاثنين
تلات	»	الثلاثاء
الرب	»	الاربعاء
الخمس	»	الخميس
الجم	»	الجمعة

ومن خلال هذه الأسماء يمكن ان نلاحظ عند قرائتها التأثير المغربى الواضح .

ليس هذا تعصب ، بل هناك مفردات اخرى تكاد يكون حصرها مستحيلا منها على سبيل المثال :

اسمان	مقابل	السماء
جمن	«	الزمن
عيب	«	العيب
جو	«	الجو
شغل	«	الشغل
ادن	«	الدنيا
فجر	«	الفجر
حاجة	«	الحاجة
ستر	«	الستر
مرادة	«	المراد
معنى	«	المعنى
وقت	«	الوقت
الآخر	مقابل	الاخيرة
ساع	«	الساعة
فايد	«	الفائدة

زد على ذلك أن ٨٠٪ من السنغاليين يحملون اسماء عربية فبدلا من صمب او دمب او كور — باتا ير ، كج ، جج ، ملر ، نجد محمد على ابراهيم سليمان ابو بكر عمر عبد العزيز مصطفى ، زينب ، فاطمة ، خديجة ، رقية ... الخ .

هذا وقد نجد ايضا ان كثيرا من المدن السنغالية تحمل اسماء مدن عربية مثل دار السلام دار المنان دار المعطى ، المدينة ، مكة ، طوبى .

هذا وعلى الرغم من ان اللغة الولفية او الفلانية لغات ذات ماض عريق من التقاليد الادبية تميزت بالكتابة الصوتية فضلوا اللجوء الى طبيعة الحروف العربية لتدوين أفكارهم كما فعل — منذ قرون — أخوانهم فى الهند وايران والبكستان كانوا على علم « بان المعرفة لن تستطيع ان تكون مفهومة وواسعة الانتشار ما لم تكن اداة توصيلها لغة معروفة » .

هكذا فان كثيرا من شعرائنا فى القارة الافريقية قديما او حديثا جنحوا الى وضع مؤلفاتهم ونظم اشعارهم او العلوم الدينية بما فيه القرآن والاحاديث النبوية الشريفة الأسلوب وعلى سبيل المثال قام العالم الغينى الشهير (جيرن صمب موميزا) فى مطلع القرن التاسع عشر ، ينقل كتاب « مروج الذهب » للمسعودى احدى روائع الأدب الاسلامى الى لغة « بلار » هذا ولما بدأ النقاد يحتقرونه من شأن هذا العمل الجبار الذى قام به اجابهم بقوله :

« سواء كانت اللغة عربية أو فلانية أو اى لسان آخر كل لغة نبيلة لانها تعبد طريق المعرفة الانسانية » .

ونظيره الشيخ موسى كه الشاعر السنغالى الكبير الذى قدم لامته اعمالا كبرى فى زمانه بلغة « الولف » قد عبر هو الآخر عن رايه فى هذه الفكرة لما كان يتعرض لنفس الانتقادات قائلا :

« العربية او الولفية كل لغة جميلة »

« لانها تعكس فضائل وعلوم بنى الانسان »

وبفضل هذا التلاحق أو التزاوج اللغوى ، أصبح محو الأمية فى افريقيا الغربية أمرا ممكنا لفترة طويلة قبل مجيىء الاستعمار .

ولابراز كيان الثقافة العربية فى السنغال قبل مجيىء المستعمرين نقول ان معظم الرسائل التى وجهها ملوك السنغال الاوائل الى السلطات الاستعمارية فى بدء الاحتلال كانت محررة باللغة العربية ويوجد حاليا فى مصلحة المدخرات الوطنية (الارشيف) حوالى ٢٠٠ رسالة من رسائل الملك (لتجور كون لاترجوب) = (١٨٤٣ — ١٨٨٦) = كتب ٩٥ منها فى الفترة الواقعة بين (١٨٧٦ — ١٨٦٦) و ٤٠ منها فى الفترة الواقعة بين (١٨٦٨ — ١٨٨٠) و ٤٠ أخرى منها ما بين (١٨٨١ — ١٨٨٢) وأخرى فى الحقبة الواقعة بين (١٨٨٢ — ١٨٧٤) ولا غرابة فى ذلك ان علمنا أن هذا البطل الوطنى كان قد عين الشيخ « مورانت صل » والد أحمد بمب البكى قاضيا وكاتبا لبلاطه قبل ان يعين فى المنصب عيينه الشيخ العلامة « مجفت كل » .

اما التحريات التى اجريت خلال يوليوز سنة ١٩٦٠ قصد التنمية بعد الاستقلال لوحظ أنه فى كل قرية من القرى السنغالية يوجد فيها على الأقل بين كل خمسة وعشرين فردا خمسة أفراد لهم المقدرة فى كتابة او قراءة نص عربى او ما كتب بلغتهم على الطبيعة الحروف العربية ، وذلك فى المناطق التى تسكنها الولوف أو التكرار .

وعلى هذا الاساس فان القول بان الافارقة لا يعرفون الكتابة ولا القراءة فكرة مرفوضة عن اساسها لان تاريخهم اذا لم يدون كتابة بالحرف التى يتعرض فى كثير من الاحيان ، بالضياع والتلف فانه — اعنى تاريخ الافارقة — كان محفوظا فى الصدور يتناقلونه جيلا بعد جيل بامان ولذا قيل « ان موت شيخ أفريقى يعادل حرق مكتبة علمية » .

وعليه أقول مرة أخرى بان اللغة العربية أو الديانة الاسلامية لم يحملها اى أجنبى على السنغاليين انما بفضل ايمانهم وبحبهم للاطلاع ، وجريهم وراء المجهول استطاعوا استقدام الاسلام ونشره بايديهم فى ربوع بلادهم ، تلك حقيقة واضحة اعترفها بعض مؤرخى العرب أمثال ابن الحوقل ٩٧٥ م والبكرى (١٠٣٨ — ١٠٩٤) ورغم ذلك فمعظم الذين كتبوا بخصوص امتداد الاسلام الى غرب القارة الافريقية حديثا ، قد اظهروا مزاعما من الانحراف عن الحق والواقع حيث ذهبوا الى القول ان انتشار الثقافة العربية والديانة الاسلامية فى السنغال يرجع الى عبد الله ياسين الجزولى أو الى تجار العرب الذين سبق وجودهم فى هذه الناحية من القارة الافريقية ؟!

الا اننا لحد الان لا نستطيع ان نطمئن الى هذه الآراء أو اننا نتقبلها بشىء من التحفظ لاسباب نورها كالاتى :

أولا : ليس من المعقول ولا من المنطق السليم أن يكون عبد الله ياسين الجزولى قد استقدم من الشرق قصد نشر تعاليم الاسلام

بين قبائل البربرية الوثنية ولم يحقق ما طلب منه وهو يغادر ويترك وراءه أعداء الاسلام ويذهب بعيدا لنفس الغرض — الى غاية مصب نهر السنغال .

ثانيا : لم يزحف المرابطون الى افريقيا الغربية الا فى العشر الأخير من القرن الحادى عشر للميلاد اضف الى ذلك ان مجىء عبد الله ياسين الى ضفاف نهر السنغال ، كان مفاجئا وغير مقصود لا لما قدم أمير الجدالة يحيى بن ابراهيم الجدالى من المشرق سنة ١٠٣٩ ومعه الفقيه عبد الله ياسين بناء على نصيحة الشيخ ابى عمران الفاسى فقيه القيروان المتوفى ٤٣٠ هـ الموافق ١٠٣٩م كان الهدف فى رأى الغالب القيام بتثقيف قبيلة الصنهاجه البربرية أكبر القبائل البربرية واقواها ، وتأليب قلوب الملثمين وايجاد نوع جديد من التآزر والالفة بين هذه القبائل على اسس الديانة الجديدة .

هذا وعلى الرغم من انه يبدو ان دور عبد الله ياسين لم يكن يقتصر على ان يفتى الناس أو يفسر لهم الاحاديث النبوية ، فهو لم يستطيع تنفيذ الخطة المرسومة له حتى بنجاح جزئى ، لان الرياح لم تكن تجرى بما تشتهيه سفينته ، مع انه كان عسكريا تقمص بثوب الفقيه والمرشد الدينى ، هذا فلما قضى اربع سنوات كاملة بين ظهرانيهم فى (تاغنت) من اعمال موريتانيا حاليا ، لم يجمع حوله خلالها سوى فئة قليلة من البرابرة الذين كانوا يعتنقون الديانة الجديدة ويرتدون منها تارة اخرى ، وبالتالى جحدوا دعوة عبد الله ياسين بالمرة ، وبذلك اضطر هذا الأخير خلال سنة ١٠٤٢ بالخروج من ديار لمتونة خوفا على نفسه بعد ان يئس من تأليب

واصلاح حالهم روحيا هكذا سار نحو الجنوب صحبة أمير الجدالة حتى وصلا ومن معهم الى ضفاف نهر السنغال فى شبه جزيرة هناك، حيث اقاموا رباطهم معتزلين غارقين فى التفكير محاولين التعرف بالاسباب التى ادت الى فشلهم فى المحاولة الأولى هذا وعلى الرغم من ان موقع رباطهم كان ممتازا من الناحية الاستراتيجية حيث انه بنى — أن صح هذا التعبير — فى الحدود الفاصلة بين ديار الزنوج والملثمين من البرابرة لم يكن عبد الله ياسين يفكر اصلا — لما وصل الى هذه الناحية — القيام بدور شبيه للدور الذى سبق ان كلف به فى الديار لمثوتة اذ كانت هناك امبراطورية اسلامية قوية تبسط نفوذها حتى ضفاف هذا النهر الا وهى امبراطورية « غانة » التى كانت تشمل فى ذلك الوقت بلاد النيجر وغنيا ومالى وبلاد التكرر والسرير (السنغال) ومملكة اوداغشت (موريتانيا) الى أن انفصلت عن هذه الامبراطورية سـنة ٩٩٩ . فلم يزغ قلم ابن خلدون عن جادة الصواب عندما خط العبارة التالية وهو يصف هذه الامبراطورية « كانوا أعظم دولة واضخم ملك » .

ثالثا : ان قبلنا فرضا ان عبد الله ياسين هو الذى ادخل الاسلام والثقافة العربية الى السنغال ، علينا أن نلاحظ من جهة أخرى ان عبد الله ياسين قد استقدم من الشرق غضون سنة ١٠٣٩ ثم انه لم يصل الى ضفاف نهر السنغال سوى غضون ١٠٤٣ مع العلم بأن الملك « وارجابى » الذى وافته المنية سنة ١٠٤٠ قد ترك ورائه مملكة تكرر الاسلامية (الجزء الشمالى لسنغال) التى كانت اللغة العربية تستعمل فى مدارسها ودوائرها التعليمية .

رابعا : ان الوصف الذى تركه لنا أمثال ابن حوقل ٩٦٥ والبكرى ١٠٦٨ ليعطينا صورة حية مطابقة للمركز الممتاز الذى كان الاسلام يحتله فى هذه المنطقة قبل القرن العاشر للميلاد (... ان مدينة غانة ، كانت منقسمة الى قسمين ، قسم وثنى وقسم دينى فالقسم الدينى كان به اثنا عشر مسجدا وكان لكل مسـجد امامه ومؤذنه ومقرئه فضلا عما قاله الرحالة كاولى وبات (١٨٥٥) ذكر فى كتابه « جوله فى ربوع غرب أفريقيا الوسطى » انه كان بغانة عام ستين هجرية ٦٧٩ م عدد من المساجد ، وكما ان الاسلام هو الدين الذى اعتنقه كثير من الاهالى فى ذلك العهد) .

كل هذا ، يؤكد — قطعا — على أن الاسلام قد انتشر فى غرب أفريقيا بالاخص منطقة السنغال والنيجر بوقت كثير قبل مجيىء عبد الله ياسين الى ديار لمتونة سنة ١٠٣٩ وعليه ان قضى هـو واتباعه فى رباطهم بضفاف نهر السـنغال عشر سـنوات كاملة (١٠٤٣ م — ١٠٥٣ م) ليعدوا ما استطاعوا من قوة فاننا نعرف يقينا ان اعتكافهم فيه لم يفد انتشار الاسلام الى أفريقيا الغربية ، بقدر ما كان له دور حاسم فى قيام الدولة المرابطية وامتداد نفوذها فى المغرب والاندلس .

خامسا : ان القول ايضا بأن الاسلام أو الثقافة العربيـة تغلغلت الى افريقيا الغربية بالجهاد أو بفضل التجار ، فبمقدورنا اليوم ان نبرهن بالتأكيد اننا لم نعرف على مر الزمن دعاة شـقوا طريقهم الى السنغال بالذات لنشر الاسلام أو تعليم اللغة العربية وان اغلب العرب الذين وصلوا الى غرب القارة الافريقية وبالتحديد

السنغال سواء مغاربة كانوا او لبنانيين او سوريين او فرنسيين فلم يوجد من بينهم ابدا دعاة او مبشرون لصالح الدين الاسلامي بل مهاجرين وراء الرزق منطويين على انفسهم لا تربطهم ادنى صلة باهل البلد المضيف لولا وجود البضائع التى يمدونها بايديهم الى الشراء انهم لا يظهرون فى المحافل الاجتماعية ولا الدينية .. فالاغلبية منهم لا يصلون ولا يصومون رمضان كما لا نعرف منهم لحد الآن من تطوع باعطاء ولو درس فى كتيبة قرآنية فبدلا من ان يبنوا المدارس أو المساجد أو يشجعون المسلمين فهم يبنون كنائسا ومؤسسات لا تدرس فيها سوى الفرنسية .

سادسا : ان الاسلام قد اجتاز مراحل معقدة ومتعددة فى الزمان والمكان قبل التاريخ الذى اعتاد المؤرخون تحديد وجوده فى السنغال ان لاحظنا وجوده فى الامبراطورية السوداء من القارة الافريقية خصوصا امبراطورية غانا ومالى اللتين كان السنغال جزء لا يتجزأ منهما .

وعليه فمهما قيل فوجود الاسلام فى السنغال اليوم يرجع الى عاملين :

١ — كون تعاليم الاسلام بطبيعته سهلة بشكل تتجاوب مع طبيعة السنغاليين والواقع الذى الفوه .

٢ — كون الذين قاموا بنقل الاسلام ونشره لدى الديار السنغالية من ابناء البلاد انفسهم حيث انهم استطاعوا اقناع اخوانهم دون ادنى مقاومة وعليه :

فان الغزوات التى اقيمت فى الجزء الغربى للقارة الافريقية

سواء من طرف الاجانب او ابناء القارة انفسهم لم يكن يهدف الا لتقويض الاسلام عن اساسه .

الغزو المغربى

حاول الفقيه عبد الله ياسين برفقة الزعيم المرابطى يحيى ابن ابراهيم الجدالى بعد اخفاقهم وذوبان آمالهم فى ديار لمثونة سنة ١٠٤٣ حاولوا أن يتغلغلوا الى ما وراء نهر السنغال لكن امبراطورية غانة كما سبق أن قلنا حالت دون تقدمهم صوب الجنوب كما حالت القبائل البربرية تراجعهم الى الوراء شمالا لذا اتخذوا رباطا فى شبه جزيرة بضفاف نهر السنغال الذى قضوا فيه عشر سنوات كاملة ادركوا خلالها ان مجرد الدعوة لا تفيدهم بقدر ما تضرهم لذلك بدؤا بغزو المرتدين من قبيلة كدالة وصناجة ولمثونة ومسوفة . وغضون سنة ١٠٥٣ م خرج يحيى ابن ابراهيم الجدالى على راس فيلق الى الطرق الشمالية من صحراء المغرب لمحاربة أمرائهم المستبدين لكنه توفى سنة ١٠٥٦ فى احدى المعارك التى خاضها مع السود فى السنة المذكورة بالذات وبعد وفاته ولى عبد الله ياسين ابا بكر بن عمر الذى كان البرابرة يحيونه الى درجة العبادة الا أن عبد الله بدوره قضى نحبه خلال سنة ١٠٥٩ م فى حملة خاضها ضد قبيلة برغواطة البربرية على شاطىء الاطلس قرب الرباط المغرب « الشاوية الحالية » وبموت عبد الله ياسين جدد البرابرة البيعة لابى بكر بن عمر فالستخلف على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين المؤسس الحقيقى لدولة المرابطة فى المغرب بينما عاد أبو بكر الى الصحراء ومنها الى اقصى الغرب

امبراطورية « غانة » هكذا فى سنة ٧٦
سنة ١٠٦٢ م لغزو امبراطورية « غانة » هكذا فى سنة ٧٦
سقطت الامبراطورية المذكورة على يد القائد العسكرى المرا
ابى بكر — بعد كفاح دام اربعة عشرة سنة — وبذلك حاول
تأسيس مملكة ثانية للمرابطين فى غرب أفريقيا الا ان هذا النص
الذى احرزوه لم يدم طويلا فقتل قائدهم ابو بكر سنة ١٠٨٦ م
وتفرق كلمتهم ورجعوا الى الصحراء حيث أتوا متشتتين واستعاد
« غانة » استقلالها لكنها بدأت تعيش فى صعوبات من جر
الجروح التى اصيبت بها حتى أفل نجمها نهائيا سنة ١٢٤٠ م .

وقد احتلت مملكة مالى الاسلامية ذلك المركز الممتاز الذى
كانت جارتها « غانة » تحتلها من الناحية التجارية ، فهذه المملكة
بلغت أوج عظمتها وثرائها أيام الملك منس موسى (١٣٠٦ م —
١٣٣٢ م) هذا ويحسن أن نلاحظ هنا أن الملوك السبع الذين تعاقبوا
على عرش هذه المملكة كانوا يحجون بيت الله الحرام كل عام الا
زيارة الملك كنكا موسى للأراضى المقدسة سنة ١٣٢٤ كان لها
دوى كبير فى العالم الاسلامى حيث بلغ أفراد حاشيته التى رافقته
الى الحج ٥٠٠ شخصا وكما وزع على الناس هدايا وصدقات قدرت
بخمسين الف أوقية من الذهب ، فالرحالة ابن بطوطة الذى تنقل
فى بلاد مالى خلال القرن الرابع عشر الميلادى وبالضبط أيام حكم
الملك منس سليمان كتب يقول (... ان مواظبتهم على الصلاة
والتزامهم بها جعلهم يذهبون لحضور صلاة الجمعة باكرا حتى وان
لم يبتكر الانسان الى المسجد الجامع لم يجد مكانا لكثرة الزحام ..
.. منها عنايتهم بحفظ القرآن الكريم بحيث يجعلون لأولادهم

قيودا فى الأرجل اذا اظهروا فى حتمه (القرآن) التقصير فلا تفك عنهم حتى يحتفظوه عن ظهر قلب ..) الا أنه للاسف الشديد فهذه المملكة هى الأخرى انهارت تحت طعنات الطوارق سنة ١٤٣٥ .

يضاف الى هذه الغزوات تلك التى وجهتها الدولة السعدية ضد صنغاى فحطمت خلالها دولة اسلامية بالمعنى الصحيح فى (أفريقيا) انه فى الحقيقة لغزو عقيم وصلبى فى جميع مظاهره اذ لم يأت الا الدمار والخراب فى هذا الجزء من القارة لأن الهدف منه لم يكن سوى حب السيطرة والتوسع ، فهو لا يقل ضراوة عن الفتوحات الاستعمارية التى نعرفها اليوم وليس أدل على ذلك ان مولاى أحمد المنصور الذهبى لما كتب الى الملك اسكيا اسحق الثانى يطلب منه دفع الضرائب خاصة على معادن الملح والذهب المستخرجة من مدينة « تغزة » والتى كانت تشحنها القوافل المارة على التراب المغربى من السودان ولما عرض هذه المطالب المنصورية على بساط الاخذ والرد واستغرق دراستها فترة من الزمن ظن مولاى أحمد المنصور ان مطالبه لم يعر أدنى اهتمام من قبل الملك اسكيا اسحق الثانى هنا بدأ مولى احمد المنصور يشاور أعيان دولته لغزو صنغاى لكنهم عارضوه معللين ان الشقة بعيدة وليس فى صنغاى عدو لنا لأن الناس هناك قد أسلمو الا أنه كانت فرصة لن يمكن تعويضها اذا فاتت هكذا بدأت الاستعدادات على قدم وساق فكانت النتيجة ان هيأ جيشا قوامه أربعة آلاف مقاتل من اولئك الذين تم طردهم من الفردوس المفقود (الاندلس) وبعض

المرتزقة المؤجرين من الدول الاوربية ويكفى دليلا ان قائد هذه الحملة كان اسبانيا اسمه « جودر » Juder غادر من مدينة مراكش المغرب بتاريخ الموافق ٢٩ اكتوبر ١٥٩٠ وقطع القفر مع رجاله سالكين الطريق الموصل بين تافلالت وتمبوكوتو لكن عبور الصحراء فى ذلك الوقت كان صعبا ان لم يكن مستحيلا لذلك نفد « جودر » ثلاث أرباع خيله ورجاله ورغم تلك الصعوبات القاسية التى كانت تقف فى طريقه فان ورقة الحظ لعبت لصالحه لسببين هنا :

اولا : مفاجئتهم لجيش صنغاى الذى لم يكن اطلاقا ينتظر هجومهم هذا .

ثانيا : استعمالهم فى هذا الهجوم سلاحا ناريا كان مجهولا أو نادر الوجود لدى الاوساط الزنجية .

ثالثا : ضعف حكماء صنغاى وقت هذا الهجوم .

وسعيا وراء انقاذ الموقف ، حاول اسكيا اسحق الثانى عبثا وفى ظروف جد صعبة رد المهاجمين على أعقابهم باطلاق سراح قطع من الابقار تجاههم كان ذلك يوم ١٢ مارس ١٥٩١ واخيرا اشتبك معهم فى الجهة الشمالية لمدينة « جاو » على ضفاف نهر (توندبى) ولما علم انه منهزم لا محالة التجا الى مدينة (كورما) حيث تفنى نحبه وبذلك تم للمغاربة احتلال مدينة (جاو) عاصمة المملكة واستولوا بالاضافة الى ذلك على مدينتى دجنى وتمبوكوتو اللتين كان اسكيا الاكبر قد حولهما الى مراكز أدبية ودراسات اسلامية شع نورها حتى وفد اليها طلاب العلم من البيض والسود وبذلك ايضا انتها

حقبة طويلة من السلام الدائم والنمو الثقافى اللذين كانا تميز لهذه المملكة الزنجية علاوة عن الطاقات البشرية التى اهدروها وشظايا الرصاص التى تركوها فى اجسام اخوانهم المسلمين والمذابح التى اقاموها هناك .

لنلتفت قليلا الى الوراء ليكن ذلك بالضبط سنة ١٥٨٨ نجد أن جامعة تمبوكوتو الاسلامية تركت دويا عظيما فى العالم الاسلامى لذا لما اقتمت الدولة السعدية سنة ١٥٩١ بتخريب المدن المذكورة طمعا فى الثروة التى اعطت لمولى أحمد المنصور بلقبه الذهبى وتغريب علمائها الى مراكش جورا كان أشد ما أحزنهم هو فقدانهم لمكتباتهم الخاصة . لقد كان من بين أولئك الجهابذة العالم العلامة أبو الحسن على السودانى ، وأبو محمد عبد القادر السودانى والعالم الكبير أبو العباس أحمد بن باب الذى ذكر فى تقرير له أنه كان يملك أصغر مكتبة بين أصدقائه ، وأنه فقد من جراء هذا الغزو ١٦٠٠ مجلدا ، وذلك فضلا عن الشجاعة الأدبية التى كان يعرف بها هؤلاء ويمكن أن تستدل فى هذا الخصوص بتلك الصرخة الاحتجاجية التى صرخها أحمد باب فى وجه مولى أحمد المنصور عندما وقف أمام باب قصره الملكى بمراكش وهو يساله عن الاسباب الجوهرية التى حملت المغاربة على القيام بنهب كتبهم وثروتهم ثم صفدهم من تمبوكوتو الى مراكش حيث قال : (مالك تتشبه برب الارباب اكشف عنى الحجات اتكلم معك) (ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا) واحمد باب هذا قيل انه قام بتاليف حوالى عشرين مجلدا منها : (معجم لسم

و (الميزاز) الذى قيل انه كتبه خصيصا لتزويد أهل المشاهير) و (المغرب بمعلومات غير مزورة عن الشعوب الزنجية و (كفاية المحتاجين لمعرفة من ليس فى الديباج) الذى ذكر فيه ان المسجد الكبير بتمبوكوتو ، بنى فى الفترة الواقعة بين ١٣ مـاى ١٥٠٧ ومانحه ١٥٠٨ .

هكذا فان الانتصارات المتلاحقة التى أحرزها المغاربة فى الجزء الغربى لهذه القارة تنحصر فقط فى الوجهة العسكرية دون غيرها ورغم فداحة الاخطاء التى ارتكبوها فى خلال تلك المعارك ، باسم الاسلام والتى كانت على الدوام تحتدم بزحف التيار الاسلامى ذوى القوام الزنجى المترسم على الطرق التى سبق لنا ذكرها فجل تلك الزوابع الثائرة لم تكن فى يوم من الأيام حجرة عثرة فى سبيل اندفاع الاسلام وثقافته الى قلب القارة السمراء كما لم يخلف تيارا لنفور الاسلام وذلك لأن قلوب أبنائها كانت على موعد مع الاسلام لقبوله كدين .

مراكز التعليم العربى فى السنغال

كانت المراكز الثقافية بأفريقيا عامة وفى السنغال على وجه الخصوص هى المساجد ومجالس الشيوخ والكتاتيب القرآنية ، وكان الصبى اذا بلغ سبع سنوات أو أقل يأخذه الوالد الى الشيخ (المعلم) الذى يتكفله مع مجموعة من أقرانه دون أى مقابل محدود ، وكثيرا ما يقول الأب للمعلم (لا أطلب منك الا ان يحفظ القرآن أو يموت) .

هذا ، وبما أن أولياء التلاميذ — فى الغالب — كانوا يقطعون

صلاتهم بابنائهم حين وصولهم الى يد الشيخ بدرجة ان البعض من أولياء التلاميذ يلتقى بابنه ، ولا يكاد يعرفه لتنازله عنه وتجرده من امره . وقد تبدو هذه المعاملة قاسية بالنسبة للبعض غير انهم كانوا يقصدون من ذلك ، ترويض ابنائهم على تحمل المسئولية ومجابهة مشاكل الحياة فى مقتبل اعمارهم وقد كانوا (التلاميذ) يجبرون على القيام باعمال جانبية شاقة بدل دفع اجور التعليم ، كجمع الحطب من الغابات المجاورة قصد الانارة حين مراجعة الدروس مساء بعد غروب الشمس وقبيل الفجر أو القيام بالتصدق (جمع الصدقات والتبرعات) دارا تلو الأخرى فى الأحياء القريبة ، ذلك لأن امكانيات الشيخ (المعلم) المادية قلما كانت تفى بشكل تحول والقيام بهذه الأعمال .

انهم كانو يؤمنون بان الذل فى سبيل تحصيل العلم شرف واى شرف وان التعب فى الصغر يستورث الراحة فى الكبر .

اما التعليم الذى كان يسدى فى هذه الكتاتيب كان على مرحلتين هما :

اولا — مرحلة التعليم :

وكانت تشمل تقديم ابجدية القراءة مجرة من الحركات ، ومع هذه المرحلة تحفيظ القرآن الكريم كلا أو جزءا منه وتلقين صغار التلاميذ مبادىء القراءة دون فهم المعانى .

كان يتولى هذا النوع من التعليم معلمون من حفظة القرآن الكريم من ذوى الثقافات المحدودة حيث لا يعطون للتلاميذ سوى

دروسا على شكل آيات قرآنية تكتب على لوحات خشبية جالسين
على الأرض بغير نظام .

ونتيجة لعدم وجود بعض أصوات عربية فى اللغات
السنغالية المحلية فهم (المعلمون) أحدثوا لأنفسهم أسلوبا محليا
بوضع اصطلاحات نطقية ورسمية لتمييز الحروف العربية ومخارجها
المخالفة لأصوات ومخارج لهجاتهم الأفريقية (الولوفية ـ
الفلانية) وعلى سبيل المثال اطلقوا :

أ	ليفكريبب
ث	جون
ط	طاتنك
لا	الميف
ة	تا صغير جكين
د	حبلك
ج	جيم
ض	لات
لد	حادم دل
هـ	الكبير
ـع	ايدكل

وكان الطفل يعاد الى الأسرة بمجرد أن يحفظ القرآن الكريم
حيث ينظم له أمسية قرآنية ليظهر أثنائها مدى تمكنه بالقرآن
حفظا .

هذا وما قلناه بخصوص « الاولوفية » نقولها أيضا بشأن
« الفلانية » .

ثانيا ـ مرحلة التدريس :

ومن اهم المواد التى كانت تدرس فى هذه المرحلة هى :

الفقه ، وتفسير القرآن ، واللغة والبلاغة ، والنحو ، والعروض ، والحديث النبوى الشريف ، والأدب العربى وتاريخ الاسلام (السيرة النبوية) .

وكان كبار التلاميذ أو طلبة هذه المواد يخصصون لاساتذتهم يوم (الاربعاء) للعمل فى حقله من صباح الباكر حتى غروب الشمس وذلك لنيل رضى شيخهم وطلب بركة تعليمه أو تقدير جهده الذى يبذله من أجلهم فى سبيل التدريس والتوجيه والارشاد .

أما كيفية تلقى الدروس لقد كان كل طالب يحمل كتاب المادة التى تغريه والتى آنس فى نفسه المقدرة على تفهمها .

هكذا كانوا يشدون الرحال وراء العلم منتقلين من بلد الى آخر حتى اذا أخذ الطالب من الكتب المداولة فى مختلف المجالس حظه وافرا ، يفسر له الشيخ القرآن الكريم ويسلم اليه بعده عمامة بيضاء تكون بمثابة الشهادة التكميلية ثم يطلق عليه اسم الامام فلان أو مفسر فلان .

وكانت حلقات الدراسة فى هذه المجالس تبدأ وقت الضحى حتى بعد صلاة العصر اما عطلة الاسبوع فكانت تبدأ بعد ظهر الاربعاء حتى بعد آداء فريضة يوم الجمعة بينما عطلة السنة تكون شهرا لدى هؤلاء اودونه فى أولئك . وهكذا .

هذا وبما أن اللهجات المحلية (الفلانية ـ الولفية) هى التى كانت تستعمل لابلاغ معانى الدروس الى الطلاب وقد استطاع

المعلمون بهذه الطريقة ، تكوين نبغاء فى فن الدراسة والتدريس ، ولكن قلما كانت هذه الطريقة تسمح باســتعمال اللغــة العربية بالطلاقة فى الاحاديث والمحاورات الشخصية .

التعليم العربى فى السنغال خلال المد الاستعمارى

كان الســـنغاليون — قبل اقامـــة عـــلاقات جوهرية مع المستعمرين — يتعاطون التعليم العربى كما سبق أن قلنا ، لدى كبار الشيوخ والمعلمين عند المجـالس فى القرى والمدن ، الا أن تأسيس اول « جامعة اسلامية » بالمعنى الصحيح على التراب السنغالى يرجع الى سنة ١٤٢٨ م وهى جامعة (بير) الاسلامية التى اسست من طرف القاضى (عمر وفال) .

ولكن منذ أن وطىء الاستعمار الفرنسى قدمه على الاراضى السنغالية ووجدوا بها علماء تضلعوا فى الثقـــافة الاســـلامية ثم يحتقرون ويمقتون كل ما لا صلة له بالاسلام علموا (الفرنسيين) يقينا أن لا بقاء لهم فى هذه البلاد مع وجود هذه الظاهرة الطيبة ، لذا بدؤا بطرق ملتوية حينا ، ومباشرة احيانا أخرى طمس معلم هذه الثقافة فى الديار السنغالية ، بوضع شروط ثقيلة لا تسمح القيام بادنى نشاط لتعليم هذه الثقافة دونها .

ليس هذا فحسب ولكن أقدموا أيضا باحراق جامعة (بير) الاسلامية فضون سنة ١٨٦٤ أثناء حملتهم التطهرية للالحاق اقليم « كجور » للمرة الثانية الى الحكم الفرنسى .

هذه الجامعة التى تخرج منها مئات من أبناء هذا البلد العزيز ، وكان الهدف من كل هذا وذاك اقامة حاجز دمائى لمنع انتشار

الثقافة الاسلامية كى يفسح المجال امام ثقافته المشبوبة بالدعاية ، وبالتالى القضاء على معنوية النفوس وطمس الحقائق الوطنية والمعطيات الحضارية ، ولرفض هذه المساعى المبيته ، والهيمنة الاستعمارية بالذات ، عرفت البلاد السنغالية سلسلة ثورات متتابعة كجهاد سليمان بال (؟ — ١٧٧٦) وجل حوب (؟ — ١٨١٥) والامام عبد القادر (١٨٠٩ — ١٨٦٧) واحمد شيخو التجانى الملقب بالورمادى (؟ — ١٨٧٠) وعلبر انجاى (؟ — ١٩٠٢) واحمد بمب البكى (١٨٥٣ — ١٩٢٦) ، وفودكب وموسى ملو .

هذا ، وبحكم هذه الصعوبات التى واجهة الاستعمار الفرنسى فى بداية زحفه من طرف هؤلاء وغيرهم من أبناء الوطن الغيورين ، عرف انه لم يستطيع بناء مطامحه وتحقيق آماله العريضة بنجاح الا اذا جعل لهذه المعارضة حدا بطريقة أو بأخرى فبدؤوا يتصلون بالشيوخ ويخصصون لهم منحا مالية دورية واوسمة من مختلف درجات الشرف فى مناسبات خاصة ، وكما انهم كانوا يحاولون اقناعهم بان الشيخ لا يجوز له ممارسة شئون تتعلق بهذه الدنيا الفانية بل عليه ان يلازم البقاء فى مصلاه وفى حلقاته التعليمية وان يكون بيده سبحته ليل نهار ، وكل ذلك لحاجة فى انفسهم .

وبهذه الطريقة ، توصلوا الى تخدير عقول بعض الشيوخ وايقاع الخلاف بينهم ثم انتهز المستعمرون تلك الخلافات حيث لعبوا دورهم الخطير فى النهاية فى حين لم يسمح لهم سوى مباشرة تعليم تقليدى يحفظ التلميذ خلاله القرآن الكريم على ظهر

القلب في مدة تتراوح بين ١٠ الى ٢٠ سنة وذلك دون فهم معانيه بينما يفوت عنه تعلم العلوم الاخرى او حرفة يضمن بها لنفسه قوته اليـومى .

هكذا ، كانت الأمور منذ وصول الاستعمار الفرنسى حتى بعد الحرب العالمية الثانية عندما قام زعماء الحركة التجديدية — كما اسميها — فى الاربعينات يطالبون بالغاء قرار المقيم العام الفرنسى بدكار الصـادر سـنة ١٩٤٥ والمتعلق باغلاق المدارس العربية وايقاف النشاط والحركة الجديدة تجاه اللغة العربية ومن بين أولئك الذين ركبوا متن الخطر وشقوا الطريق الى انشاء المدارس العربية على الطريقة الايجابية لاصلاح ما شـوهه الاستعمار الفرنسى .

السيد الحاج محمود (١) به الذى أسس هو وحده فى سنة ١٩٤٠ عدة مراكز لتدريس العربية فى كل من السنغال وموريتانيا ، ومالى وغنيا وكنغو وفولتا العليا بفضل أموال جمعها من مسلمى اقليم فوطه ، اثر رجوعه الى وطنه « السنغال » من الحجاز حيث كان يتعلم .

---

(١) ولد الحاج محمود به سنة ١٩١٩ فى قرية (جول) فى مقاطعة « كهيدى » سافر الى الحجاز سنة ١٩٢٨ لطلب العلم فى الحجاز اخذ شهادته العالية ورجع الى بلاده فى تمام سنة ١٩٤٠ وبدأ نشاطاته الثقافية . وهو حاليا المفتش العام لتعليم العربى بالقطر الموريتانى . وهو شاعر كبير مدح للحاج عمر الفوتى بقصيدة تبلغ ابياتها الى ١٠٨ بيتا .

كان الحاج محمود به قد اتخذ مدرسة (خاى) بمالى مركزا لجميع المدارس التى اسسها فى العواصم المذكورة نظرا لكون هذه المدينة ثانى مدينة لتجمهر المستعمرون بعد « اندر » السنغالية .

هذا وقد رأينا ان نورد لكم بالتصرف ، ذلك التقرير الـذى كتبه الحاج محمود به وهو يؤرخ تلك العراقيل التى كانت تقف فى طريق انتشار الثقافة الاسلامية مع وجود المسـتعمر الفرنسى .
قال : « ... وتلك المدرسة ، مدرسة (خاى) جعلتها مركزا لجميع الفروع التى أسستها فى هذا البلد وقد كانت هى وحدها تضم ١٥٠ طالبا من أبناء البلدان المجاورة لسنغال كموريتانيا ومالى وغينيـا وكنفو وفلتا العليا وساحل العاج » .

« .. هذا وبعد أن استمر التعليم فيها ست سنوات ونجح منهم خلال سنة ١٩٥١ حوالى خمسين طالبا على مسـتوى الشـهادة الابتدائية انتخب من بينهم تسعة عشر طالبا ، كبعثة ثقافية الى جامعة الأزهر مع العلم أن المستعمرين لا يرتاحون ضميريا بمثل هذا الاجراء غير انى خططت خطة محكمة لتهريبهم مع ان ذلك كان من الصعب بمكان لأن الاستعمار الفرنسى والانجليزى كانا قـد وضعا على طول حدود البلدان المجاور لسنغال جواسيسها أورقباء الا أننى قد استعنت بالله فتمت بهم من مدينة « خاى » الى « بامكو » العاصمة وقطعت بهم صحارى نيجر شمال نيامى ثم الى نيجريا وعبرت بهم بحيرة تشاد الى حدود سودان وقبل وصولى بهم الى مصر اطلع المستعمرون على خطتى فاقدموا بغلق ابواب مدرسة « خاى » فى انتظار رجوعى ارسل الحـاكم العـام للمستعمرات

استدعاء بضرورة المثول امام رئيس المخابرات العامة الذى
مأمورا بان يحكم فى ما شاء جزاء تجرئى بتهريب ابناء البلدان
الى البلاد الاجنبية دون حصول ورقة تصريح او جواز ، بالاخص
الى مصر التى هى اكبر عدو لفرنسا . لقد قال لى : أنت الذى
أولاد هذه البلاد الى الشرق العربى الى الازهر بالتحديد
ولتدخلَ سياسة العرب على قلوبهم ؟ أليس بلادكم هذه بلدا
مسلمون ؟ وكيف تتورط القيام بأمور تخالف لقوانين المستعمرات
اساسا ؟ .

سوى اننى قلت له انا لست هاربا ولا مهربا بل ذهبت
الى الشرق على ضوء اذن تام وتسريح من حكومة المستعمرات
هكذا أمسكَ رئيس المخابرات عن الكلام متعجبا ، ثم استرسل
ضاحكا ومسخرا بى قائلا : اعندك تصريح بخصوص ما قمت به
حقا ؟ قلت له بالتأكيد نعم ، قالَ : هات به مادا يده الى قلت
نابليون بونابرت قالَ يوما أمام علماء الازهر وأمام الشعب المصرى
ان فرنسا قد أعطت الحرية فى ثلاثة أمور لمن يريدها دون تصريح
من اى مسئول وهى الدين والتعليم والحرفة انكم معشر الفرنسيين
قد برهنتم على ذلك لانكم منذ أن استعمرتم هذه البلاد لم نر ولم
نسمع يوما قط انكم منعتم انسانا منا هذه الامور الا بتصريح فيها
شعائر الدين تقام كلَ يوم فى المساجد والجوامع والكتاتيب القرآنية
والمجالس فى طول البلاد وعرضهاوها الناس يصومون ويذهبون
الى الحج ويخرجون الزكاة وكل هذه دون اى تصريح او تعرض
للاساءة من طرفكم .

وعلى ضوء ما قاله نابليون لشعب مصر وبناء على معاملتكم لنا ، ذهبت بالبعثة الى مصر ليواصلوا دراستهم هناك بحكم انهم اذا لم يخرجوا الى تلك البلاد ويلتحقوا بالمعاهد العربية الشرقية فان المجهودات التى بذلناها يازائهم ستذهب هباء فانتم بدوركم على سبيل المثال ترسلون طلبة اللغة الفرنسية الى أوروبا أحيانا لنفس الأغراض .

هنا سكت رئيس المخابرات طويلا يتأمل الا انه التفت الى المترجم وقال له بالفرنسية ان هذا لخطير حقا ولكن قل له ان صح بانه لم يبع احد منهم ولم يجعلهم فى المعسكرات العربيــة بل فى الأزهر ليذهب ويأتى بهم جميعا كما ذهب بهم والا فكل ما قيل عنه حق وان لم تفعل فان حكومة المستعمرات قد تصدر أمرا باعتقاله ثم يغلق جميع المدارس العربية التى أنشأها هو .

ولما سمعت منه هذه العبارات طلبت منه مهلة يوم لافكر فى الجواب بامعان ويومه لم يكن امامى الا خيارين هما اما ارجاع :

١ — أولئك الطلبــة من جامــع الأزهر الى دكار دون أن يكملوا دراســتهم .

٢ — أو اقف بين يدى العدالة الاستعمارية الجائرة وتغلق أبواب تسعة واربعين مدرسة فى وجه حوالى ثلاثة آلاف تلميذ من أبناء المسلمين كانوا يتعلمون فيها كتاب الله ومعالم دينهم .

واخيرا ركبت أخف الضررين مع علمى بما فى ذلك من مشقة ماديا ومعنويا الا وهو رد البعثة من القاهرة الى دكار وهم تسعة عشر طالبا من غير ان يكملوا دراستهم وقد ادركت سلفا أن حكومة

مصر وعلماء الأزهر لا يرتاحون ضميريا برد البعثة لكن عقدت العز
بارجاعهم لأنهم حين رجوعهم الى الوطن اما ان يجدوا سبيلا
ليعودوا الى اماكن دراستهم ثانية بطريقة او باخرى واما يبقون
فى وطنهم ينشرون الثقـافة الاسلامية على ضـوء ما عندهم من
مبادىء العلوم .

هذا وغداة ان جئت أخبره بعزمى الاكيد بارجاع البعثة
ضحك طويلا مستهزئا ثم قال للمترجم قل له أيقر حقا على أن يقر
بوم ؟ قلت نعم لكن بشرط أن تعطونى عهدا مكتوبا تتعلق بفتح
المدرسة التى اغلقتموها لنا فى « خاى » وأن لا تأخذونا بما
تسمعوه أو ترونه بأم أعينكم .

فقال رئيس المخابرات ليس هذا صعبا انما المستحيل هو
رد البعثة من مصر وبعد أن أكدت على أننى سأتى بهم بحول الله
حتى يقفوا بين أيديكم أمام مكتبكم هذا قال : حينئذاك ما شرطت
وقبل مغادرتى السنغال جوا على الساعة العاشرة ليلة الجمعة
١٣ مايو ١٩٥٤ الموافق ٣٠ من شهر رمضان عام ١٣٦٣ قد اشعرت
افراد البعثة تلغرافيا اننى قادم اليهم لأرجعهم الى السنغال كانت
الساعة تشير الخامسة صبيحة السبت والطائرة تحلق على السماء
مطار القاهرة الدولى حيث وجدت البعثة فى أتم اهبة واكمل استعداد
ويومه القيت فيهم كلمة جاء فيها (... هذه فرنسا قـد اظهرت
جبروتها واستبدادها وقسوتها علينا . انها قهرتنى اليوم علـى
ردكم فى جو من وعـد بأنى اذا لم افعل فستغلق جميع مدارسنا
فى الوطن ، وتعلمون ما فى كلا الأمرين من ضرر الا انكم ترونني

اختار رجوعكم فها انا والخطب جلل وانتم واخوانكم الذين من خلفكم وهم عدد كبير لا يستهان به فى تكوين لبنات الثقافة الاسلامية فى وطن مسلم كوطنكم وانتم كما تعلمون بأنهم عضدكم وعدتكم فى رفع الوطن وانتم جميعا رجال الغد ، ولقد اخترت رجوعكم اليهم فى وطنكم الام ليشاركوكم وتشاركوهم فى دأبكم (وسيجعل الله لكم فرجا ومخرجا والله وليكم فهو نعم المولى ونعم النصير) .

وقد غادرنا القاهرة عن طريق الاسكندرية بحرا الى مرسيليا بفرنسا ثم الى دكار وعند نزولنا من الباخرة أخذنا أهم شارع فى دكار راجلين ونحن نقصد (عمارة الموظفين للحكومة) وقد هزت جموع من الجالية العربية بدكار بهتافات حارة « ليحيى الأزهر » لتحيى العربية والثقافة الاسلامية فهنيئا لكم يا أهل (دكار) بهؤلاء الشباب القادمين من الأزهر هكذا واصلنا السير والهتافات تدوى حتى وصلنا الى الادارة العامة للمستعمرات فبينما رئيس المخابرات (ماتزى) جالس فى مكتبه فى الطابق التاسع (عمارة الموظفين للحكومة) اذا بالبعثة بأفرادها تسعة عشر يدخلون عليه وبغتة وبدون استئذان محيطين به ، لقد أصبح ضائق الاعصاب قلقا ، اذ لم يكن يعلم بمجيئنا ، لقد كانت مدة ذهابى وايابى خمسة وعشرين يوما لا غير . هذا وبعد أن استرجع (ماتزى) هدوء اعصابه أخرج قائمة أسماء أفراد البعثة يناديهم واحدا واحدا ، مع ذكر اسماء آبائهم وأمهاتهم ورؤساء أقاليمهم ، وقد وجدنا أنهم يعرفون كل شىء عن هؤلاء منذ خروجهم من البلاد ، ولما اراد هو بنفسه أن يكلمنى ، قاطعه احد التلاميذ بقوله ، اسئلنى بكل ما يتعلق عنا وعن معلمنا هذا .

قل ماذا تريدون القيام به الآن ؟ أجابه الفتى اننا رجعنا الى وطننا وقد رزقنا الله قسطا من الثقافة الاسلامية وبجزء من التعاليم الاسلامية وفى السنغال وطننا من لم يعرف من هذه الامور شيئا وسنقوم بتعليمهم حسب ما لدينا من طاقات وليس عندنا عمل غير هذا وقد أجاب رئيس المخابرات كاظما غيظه أننى اكن ارى من الأفضل أن يذهب كل وحد منكم الى أهله ليأخذ قسطا من الراحة ويزور أحبائه الا أننا كنا ندرك ما يتضمنه هذا الكلام العشوائى حيث أنهم كانوا يضعون خطة لالقاء القبض على افراد البعثة كلا على حدة ، لذا قلنا له وصلنا الى أهلنا وفى هذه الاثناء تدخل احد الطلبة قائلا : يا رئيس المخابرات انك وعدت لوالدنا هذا بأنه لما يسترجعنا من القاهرة ونتمثل بين يديك فستفتح ابواب المدرسة التى أغلقتم ابوابها « خاى » تلك المدرسة أرضعتنا بلبان العلم وانارتنا بنور المعرفة فها هو الآن قد ساعده الله بانجاز ما وعده وها نحن فى داخل مكتبك اليوم .

هنا هز رأسه قائلا فى حيرة نعم سأفعل ، سأفعل الآن ، وقبل مغادرتنا مكتبه اصـــدر أمرا الى حاكم « خاى » بالتلغراف المستعجل ليفتح المدرسة المذكورة وعندما نزلنا من مكتبه فى الطابع التاسع عن عمارة الموظفين للحكومة ، أستانفنا السير ، وبـدا الهتافات من جديد من الجموع المحتشدة على جانبى الطريق لتحى اللغة العربية والثقافة الاسلامية ، كان الوقت زوالا وقت نزول الموظفين والعمال من أعمالهم حيث وقف النـــاس ينظرون نظرة اعجاب واستغراب بهؤلاء الشبان وعمائم الازهر تحيطها طاقيتها

الصيراء ، وهو فى نهايتها الأعرية القضالنة ... » .

هكذا ، كانت الأمور الا أن هذا القرار المفاجىء المؤسف الذى دبره الاستعمار بمساعدة عملائه الشيوخ الذين لم يدركوا حقيقة المؤامرة كان جرحا بليغا والما ماضيا فى افق تفكير هؤلاء الطلبـة .

وقد حدث نتيجة لهذه الاجراءات تيار معاكس من ردود الفعل خلال الخمسينات ، عرف ذلك التيار بحركة الطلبة باللغة العربية .

كان الهدف منها ضمنيا ، محاولة وضع حد للدعاية المعادية والاكاذيب التى كان ينشرها الدخلاء وعملائهم ، وبفضل هـذه الحركة عرفت البلاد السنغالية ولأول مرة فى تاريخها — ميلاد منظمات ثقافية فعالة كانت تعمل بجد ، جاهـدة وساهرة لنشر الثقافة الاسلامية وتعاليمها فى المساجد والمدارس والصحف الحرة وفى الأحياء والقرى والمدن . هذا وبانتهاء الهيمنة الاسـتعمارية نهار ١٩٦٠/٨/٢٠ اتيحت المجال رحبا امام المنظمات الثقـافية فى البلاد لتعمل على قصد مرتاحة البال وبعيدة عن الضغط والرقابة بطريقة سلمية تختارها لنفسها وبنفسها وكأنها بذلك تطبق قول شاعرنا الكبير « مجخت كل » حين قال :

هذا اذا ما نصارى اخرجوا قلنا   من بعدهم لديار الدين تعمير

الحياة السياسية فى هذا العهـد
(١٨٠٠ — ١٩٣٦)

كانت البلاد السنغالية حتى سنة ١٨٥٤ مجزءة الى عـدة امارات وممالك تتمتع كل منها على حدة باستقلالها وكيانها الذاتية ، وقد كانت الحياة العلية بين هذه الممالك والامارات ذاتها وبينهـا

وبين السلطات الاستعمارية من جهة أخرى ترتبط بغزوات وحروب لا يمكن حصرها الا أن أشهرها فى الشمال فهى معركة دان جم ١٥٤٩ (كولكول) بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٨٦٣ ومعركة (لور) بتاريخ ١٢ يناير ١٨٦٤ ومعركة (يكيك) ومعركة (لوغا) بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٨٦٩ ومعركة (كل) بتاريخ ٦ يوليو ١٨٨٥ ومعركة (دقلى) بتاريخ ٢٦ يوليو ١٨٨٦ ومعركة (غلى) سنة ١٨٨٧ ومعركة جيمو ١٨٨٧ .

اما فى الجنوب فاشهرها هى موقعة (باب بجان) بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٨٦٥ ومعركة (كرغور) ومعركة (بوسكت) ومعركة (صمب) الشهيرة بتاريخ ١٨ يوليو ١٨٦٧ .

هذا ومعلوم أن « لويس فيهدرب » لما وطئت قدماه أرض السنغال سنة ١٨٥٢ عكف بحماسة بمجرد أن وصل الى « اندر » عكف على دراسة الحضارات والتقاليد الزنجية لذا لما عينته السلطات الاستعمارية حاكما عاما فى السنغال غضون السنة ١٨٥٤ ، وضع مشروعا تهدف بادىء ذى بدء الى اعادة تنظيم وضع المستعمرات بتقوية العلاقات مع السلطات المحلية التقليدية لتوحيد أطراف هذه الامارات والممالك لأسباب اقتصادية .

هكذا ولضمان حرية تجارتهم على طول نهر السنغال قام لويس فيهدرب سنة ١٨٥٥ بمهاجمة الموريتانيين من قبيلة ترارزة الذين كانوا على الدوام يغيرون على سكان السنغال القاطنين فى الضفة اليسرى لنهر السنغال لكن هؤلاء البرابرة بقيادة زعيمهم محمد الحبيب اضطروا بعقد صلح مع لويس فيهدرب خلال سنة

١٨٥٨ ، ولا يخفى ايضا ان الحاج عمر الفوتى كان قد هدد غضون سنة ١٨٥٥ محمية الفرنسيين فى السنغال العليا (بفـالم) ففى السنة المذكورة بالذات كان لويس فيهدرب قد انتهز حركة جزر مياه نهر السنغال ، فبنى بجوار « المدينة » حصنا منيعا لصد هجومات الحاج عمر الفوتى ورجاله وترك قيادة هذا الحصن بيد القائد (بول هول) وقد كاد هذا الحصن يسقط على أيدى رجال الحاج عمر الفوتى تال سنة ١٨٥٧ لولا انزعاج وقلقهم بازاء حركة مد مياه نهر السنغال الذى كان يريد أن يسد خط الرجعة خلفهم .

هذا وقد استأنف الحاج عمر تال حملاته الباسلة خلال سنة ١٨٥٨ لكن أنظاره هذه المرة كانت تتجه الى قلب « اندر » عاصمة البلاد السنغالية ومعقل المستعمرين وقد حاول بكل ما أعطى من حنكة سياسـة وقوة ونفوذ دينى جر سـكان منطقتى (جلف وكجور) الى صفوفه ضد الفرنسيين الدخلاء ، الا أن هزائمـه المتوالية حط من شعبيته الشىء الكثير .

هكذا وبعد انهزامه مرة أخرى فى موقعة (جيمو) التى تبعد عن (باكل) بأربعة عشر كلم خلال سنة ١٨٥٩ عقد صلحا مـع لويس فيهدرب وبذلك ترك المجال خاليا أمام الفرنسيين لينتقلوا ببضائعهم بأمان فى طول البلاد وعرضها حتى مدينـة (بافيج) فى الحدود السنغالية المالية .

ولكن كان من أهم ما شغل بال لويس فيهدرب لمـا تسلم مقاليد الحكم فى السنغال هو تحقيق ذلك الحكم القديم الذى طالما داعب مشاعر سابقيه الا وهو ربط اقصى نقطة فى الشمال بأبعـد

نقطة فى الغرب وبعبارة اخرى ربط « اندر » بـ « دكار » بشبكة طرق حديدية ، هـذا الحلم الذى لم يكن ليتحقق فلولا تمرد الملك (امركونى صبل) أثر انتصاره فى موقعة (دانك) سنة ١٥٤٩ الذى مزق خلالها تلك الوحدة القديمة التى حققتها حكام (جلف) الاقوياء .

ففى سنة ١٨٧٤ اذن بدء لويس تنفيذ مشروع مد خط الحديدى المذكور من « اندر » الى « دكار » عبر سـهول مدينـة (جبس) الحجرية الا أنه فوجىء بمعارضة شديدة من طرف ملك (كجور) «لتجور» كونى لا ترجوب » رغم الوعد الذى حصل عليه المستعمرون من طرف هذا الأخير بتاريخ ١٨ سبتمبر ١٨٧٩ على أنه لن يعترض لهـذا المشروع اطلاقا ، ولكن لتجور جوب ، غير فكرته خلال سنة ١٨٨٢ لانه غدا يدرك أن الترخيص أو السكوت بازاء مد هذا الخط ، يعنى بطريقة غير مباشرة التنازل الكلى عن عرشـه ، وبذلك حاول دون جدوى اقناع حكام الممالك والأمارات الأخرى انه يدافـع عن شرف الجميع وأنـه اذا هـزم من طرف الدخلاء فسيذوق الجميع طعم هزيمته لا محالة .

هذا ولما لم يجد المستعمرون بدا بحكم صلابة موقفه استعملوا العنفَ ضده ، وأطاحوا حكمه سنة ١٨٨٢ ثم نصبوا خلفا له وملكا على كجور « صمب لوب فالّ » هذا وبعد مرور ثلاث سنوات على هذه الحوادث وبالضبط سنة ١٨٨٥ تم أعمالّ مـد خط الحديدى المذكور سابقا ، وفى هذه السنة بالذات أيضا قام (صمب لوب فال) بمهاجمة امراء وملوك « جلفَ » لكن النظام الاستعمارى استاء كثيرا من هذا الاجراء الذى اعتبروه اهانة لهم ، لذا وجهوا الى

(صمب لوب فال) لوما صارم اللهجة الا ان صديقهم بالامس القريب ، اصبح اليوم من الد خصومهم ، هذا وقد حاولوا عبثا عقد وفاق معه فارسلوا اليه فى مدينة « تواوون » وفدا عسكريا مهما ، الا ان مشادات نشبت بين الطرفين لقى (صمب لوب فال) خلاله مصرعه ، كان ذلك نهار ٦ اكتوبر ١٨٨٥ .

وبموته ، حاول الملك المخلوع (لتجوركونى لاتير جوب) استرجاع الملك قسرا الا انه هو الآخر لقى حتفه فى قرية « دقلى » خلال معركة حامية ، خاضها ضد الفرنسيين نهار ٢٦ اكتوبر ١٨٨٦ ، وبموته انتهى عصر المقاومة وافل نجم استقلال « كجور » وخيم الهدوء على هذا القطر الذى الحق للمرة الثانية الى الحكم الفرنسى هذا واستطاع لويس فيهد رب تارة بالخديعة وتارة اخرى بالمكر والدهاء ان يوحد السنغال ويحيلها الى مستعمرة فرنسية .

الأدب العربى فى هذا المهد
(١٨٠٠ — ١٩٢٦)

ان الادب السنغالى المكتوب باللغة العربية لهو ثمرة اختلاط قديم مع البلدان العربية الاسلامية غير اننا — وكما سبق أن قلنا — نجهل الوقت الذى بدا فيه هذا الاحتكاك بالتحديد ، وكل ما يمكن اثباته فى هذا الصدد جزما ، هو ان احتكاك العرب وامتزاجهم بالسناغلة عن طريق التجارة كان بزمن طويل قبل مجىء الاسلام ولكنها توطدت بمجىء الاسلام هذا وعندما نلقى الضوء على الادب السنغالى المعبر بلغة الضاد ، نجد انه قد نحى فى جوهرة منحى الادب العربى شكلا ومضمونا الا انه بقى متصلا اتصالا وثيقا

بالبيئة السنغالية ولكن التقليد ، جعل الأدب السـنغالى بهذا الخصوص عموما قليل الابتكار ، ففى ميدان الشعر على سبيل المثال ، وكما سنرى ، فهم يستهلون قصائدهم بالغزل أو بوصف الأطلال والبكاء على رسومها أو بوصف الفرس والناقة وذم الدنيا وتنفير الناس عنها . وما قلنا فى ميدان الشعر ينطبق حرفيا على نثرهم أيضا ، وان كان النثر أسبق الفنون انتشارا لديهم .

وعلى الرغم من هذه الاعتبارات الحتمية ليس غريبا أن تبلغ مساهمة السناغلة فى الثقافة الاسلامية الى الدرجة الرفيعة التى وصلت اليها أو أن تصبغ بالصبغة الاسلامية الخالصة التى يتميز بها . ان علمنا أنه لم يكن فى طبيعتهم (السنغاليين) ولا فى تكوينهم أو فى وطنهم ما قد يعوق انسياقهم الى الجهد الذى مهد السبيل لهذه المساهمة الايجابية الخالصة .

هذا ويجدر بنا الملاحظة هنا أن انتاج الفترة التى اخترناها — وان لم يكن معنا مصادر موثوقة تساعدنا على القاء ضوء على الحالة الفكرية التى كانت قبلها — فذلك لا يمنعنا من أن نجزم بوجود انتاج قيم أو محاولات دونه ، قد سبقه الى الوجود . ان لاحظنا ان أدب الفترة الذى نتدارسه اليوم فأصحابه تلقوا العلم على أيدى اخوان لهم ثبت تاريخيا أن اغلبهم لم يغادروا البلاد لأن المراكز الثقـافية فى هـذا العهـد ، كانت منتشرة فى طول البلاد وعرضها . منها على سبيل المثال جامعة « بير » الاسلامية (١٤٢٨ — ١٨٦٤) والاشعاع الفكرى الذى كانت مدينة « اندر » ترفعها عاليا ثم « تواوون وكولغ » .

الحاج عمر تال الفوتى (١٧٤٧ — ١٨٦٤)

هو عمر تال الفوتى بن الشيخ سعيد تال بن عثمان ، ولد حوالى سنة ١٧٩٧ ، فى قرية « حلوار » قرب « جد » التى تقع تقريبا فى الشمال الشرقى لمدينة « بدور » وتبعد عنها بحوالى عشر كلم فقط .

نشأ فى أسرة دينية وتربى وترعرع بين ابوين كريمين هما سعيد تال وآدم سيس حفظ القرآن الكريم عن والده وله من العمر اثنا عشر سنة ثم أخذ عن كل من الشيخ سيدى مولود فال الشنقيطى وعن سيدى الحافظ العلوى الشنقيطى وعن عبد الحليم من أشهر اقطاب العلم فى الشنقيط فى ذلك العهد ثم لدى علماء جامعة « بير » الاسلامية كما تلمذ لدى الشيخ عبد الكريم احد علماء فوت جالون وبعد سنة ١٨٢٠ عزما التوجه الى بلاد الحرمين عبر المغرب لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولكن مرضا مفاجئا اعترض شيخه واقعده طريح الفراش ، انتظر الشاب عمر تال شفاء شيخه فترة من الزمن ، الا أنه اضطر بمواصلة رحلته تجاه المغرب .

هذا وفى اثناء توقفه فى المغرب سمع باخبار محمد الغالى احد اقطاب الطريقة التيجانية فى بلاد الحرمين وود كثيرا أن لو رآه راى العين .

مع حسن الحظ ، تلقى معه فى مكة المكرمة واستطاع ان يكسب صداقته به ، حيث سافرا معا الى المدينة المنورة اثناء انتهاء مراسم الحج لسنة ١٨٣٧ وبقى بجواره بالمسجد النبوى الشريف طوال ثلاث سنوات اخذ منه خلالها انواعا شتى من العلوم

الباطنية ، كما جدد منه تعلقه بالورد التيجانى وكان ذلك سنة ١٨٢٨ .

هذا وبعد أن قضى عمر الفوتى فى الحجاز مدة لا تقل عن خمسة عشر سنة بارحها الى مصر كى يأخذ حظه فى الأزهر الشريف قبل رجوعه نهائيا الى السنغال خلال سنة ١٨٣٨ . هذا وبمجرد رجوعه الى البلاد بدأ ينشر الاسلام وينشر معه الطريقة التيجانية التى اليه يرجع فضل انتشارها فى أفريقيا الغربية .

هذا وبفضل تأثيره الدينى ، تخلى أهل « فوت تور » عن القادرية رغم انهم كانوا مقتنعين بها منذ أمد طويل .

اهكذا بدأ احلامه القديمة وآماله العريضة فى انشاء دولة اسلامية كبرى فى أفريقيا الغربية تتجسد ، الا أن نشاط الاستعمار الفرنسى فى هذه المنطقة بين ١٨٥٤ — ١٨٥٩ أوقف تقدمه الى الشمال الشرقى للبلاد واخطر — بعد مقاومة عقيمة انتهت بعقد صلح مع المستعمرين الدخلاء — تغير خط جهاده المزعوم الى أقصى نقطة فى الجنوب حقق خلالها انتصارات عظيمة على أخوانه المسلمين فى (ماسينا) واصل بعده زحفه الى الامام لكن اعداءه انتهزوا فرصة وجوده فى داخل مغارات جبل « بنجفرا » قرب (دجنبر) بالقطر المالى حيث كان هو وسرية من رجاله ينتظرون نجدة من ابن أخيه ابن سعيد انتهز اعدائه هذه الفرصة التى قد لا يجدون لها مثيلا فحاصروهم مدة ثلاثة اشهر وبضعة أيام وعندما حاول جنوده فك الحصار المضروب عليهم جرى بين الطرفين مشادات وطيشة وفى أثناء ذلك أصاب النار بقية بارودهم فى المخزن

الذى كان يوجد فوق الجبل ، وبذلك انفجر الجبل وقتل من جراء هذا الانفجار ، جمع غفير من كلا الطرفين وفى البداية كان الجميع يظن ان الحاج عمر الفوتى توفى من خلال الانفجار ، ولكن ثبت انه لم يصب بأذى لانه كان قد التجأ مع بعض بنيه ، فى مكان آخر فوق الجبل لم يهتد اليهم الأعداء الا بعد انجلاء غبار الانفجار ، حينئذ اشعلوا النار فى فم ذلك الغار الذى هو فيه ثم سلطوا الدخان الى داخله حتى توفى الحاج عمر الفوتى مختنقا بمن معه ، وكان ذلك نهار ١٢ فبراير ١٨٦٤ .

آثـــاره :

للحاج عمر الفوتى تال مؤلفات عديدة اشهرها كتاب الرماح الذى كتبه سنة ١٨٤٥ وكتاب سيوف السعيد وسفينة السـعده وكتاب الغزازى الذى خمس فيها القصائد العشرينات وكتـــاب مقاصيد السنة فيما يجب على الداعى الى الله من الراعى والرهبة ، فضلا عن الرسائل العديدة القيمة التى كتبها فى مناسبات شـتى ومن كتبه الشهيرة « كتاب تذكرة الغافلين » على قبح اختـــلاف المؤمنين الذى كتبه لينصح خلاله ملك (برنو) وسكان بلاد (حوس) الذين اشتعلت نار الفتنة بينهم ودامت مدة طويلة قال فى هــذا الصـــدد :

وبعد فا اعلم يا اخى ان السبب ... فى نظمها منظومة بهـا الطلب

وقال بدم ربه الفوتى عمـــر ... الكدوى ابن سعيد ما افتخـر

الحمد الله الـــذى قد اوجبـا ... اصلاح ذات البين ثم هـذبا

نفس الذى يصلح بين الناس ... فصـــار طاهـرا من الأدناس

طهـارة تهـديه للانصـــاف ... فى ذلك الاصـلاح لا الارجاف

هذا ، وبعد وتوقف انتقائى بازاء هذه الابيات نقف أمام موقف غامض للحاج عمر الفوتى لا نستطيع اعطاء تفسير له .

أ — انه (الحاج عمر الفوتى) يوجه نصائحا الى الشعبين المسلمين الذين يتقاتلان لاعتبارات دنيوية مع العلم أنه فى السنة ١٨٥٤ قد هاجم هو احمد بن احمد ملك (منسنا) بحجة ان هذا الاخير مسلم ولكن ذلك لم يمنعه من مؤازره الوثنيين والتعاون معهم . فالشىء الغامض فى هذه النقطة : هو : هل انه ألف هذه القصيدة قبل قيامه بهذا الهجوم أم بالعكس .

مهما يكون فالحاج عمر شرع بعد هذه المقدمة فى اعطاء التفاصيل والعوامل التى يمكن أن تنجم من اختلاف المسلمين فى الرأى ، كالحقد مثلا والتنافر والتناحر والتقاتل قال :

فالاختلاف موجب التحاقد	ومنه تأتى علة التحاقد
اذا تحاقد ودام الحقد	تقاتلا ولو اودام فيهم واحد
تدعو على القتال بالمهالك	اذ كان للصلاح عن سالك

هذا ، ولما كان حرمة المؤمن أعلى وأجل من أية حرمة فى هذا الوجود لقوله تعالى (.. لقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناكم من الطيبات وفضلناكم ممن خلقنا تفضلا ..) فان هادم هذه الكرامة فكأنما قد هدم الدنيا بأكملها ، ذلك لأن كرامة الانسان أمانة خالصة ودعها الله فى جسم هذا الكائن البشرى ، وعليه فكل من يحاول نيلها فكانه ، يريد ان يشارك الله فى ملكه . وهذا السلوك بالطبع يوجب — فى نظره — غضب الملائكة والانبياء والرسل وبناءا على هذه الحقائق الجوهرية فان قاتل الانسان

مبدا ، هو اقبح عباد الله على الاطلاق وعليه يجب على المرء من ان يبتعد من الاقتتال مع اخيه لأن المؤمن مع اخيه المؤمن يجب ان يكونا كجسد واحد او كبنيان يشد بعضه بعضا قال :

بقلب من يعلم ان الأدنى ... أفضل من جميع هذا العالم
يكفيك جعل الله كل الأنبياء ... منهم والاقطاب وجل الأولياء
نحرمة المؤمن أعلى وأجل ... من حرمة الكعبة عند الله جل
اذ هدم ذى الدنيا وكعبة اخف ... من قتل مؤمن بباطل نحق
ناقبح العباد عند الله ... ذو الكفر ثم قاتل الأواه
قد جاء فى المائدة التحذير ... عن قتل ذى الايمان والقدير
اذ شبه الجبار قتل الواحد ... بقتل كل الناس حتى الساجد
يكون كل الناس حتى الأنبياء ... له خصوما وكل الأصفياء
هذا هو المذكور فى القرآن ... يدركه من كان ذا عرفان
المؤمنون مثل جسم واحد ... ومثل بنيان لأجل الماجد

هكذا فان أكبر ما شغل باله ، هى انهاء تلك المصيبة العظيمة التى ابتلاها الله — حسب عباراته — على جيرانه المسلمين (برنو) و (حوش) هذين الشعبين الذين اشتعل نار الحرب بينهما ودام مدة طويلة . هذا وقد اعتمد فى نصائحه على الكتاب والسنة لا غرابة فى ذلك لانه تحمل مسئولية القاء النصح على الاطراف المتنازعة وان كان يجزم — سلفا — بعدم حصول نجاح كلى حيث انه حتى وان لم تنجح مساعيه فانه نوى وذلك لان الجزاء فى الاسلام يكون حسب النيات انه قال :

وغمنا والله شيء نسمع ... فى سائر الاقطار اين المفزع

أقوالهم تنافس الجيران · في الملك والدنيا على البهتان
تقاتلا وسفكا الدماء · وأسروا الأحرار واعتدوا
نرجو بفضل ربنا القدير · زوالها على يدى النفير
لانصح الناس كما أمرت · ان قبلوا اغتمت ما اردت
وان ابوا فالاجر بالنيات · ولا لناصح بلوم يأتى

وهكذا يرى الحاج عمر الفوتى ان الخلافات — لا محالة بين الناس فى شتى المجتمعات ، ولكن حين وقوعها يجب أن لا تبقى بدون التصالح انه قال :

ان كان بين المؤمن قد حصل · حرب فحق قاتل ومن قتل
من كل واحد من الجمعين · على تصالح بدون مين

فالصلح كما أكد ، منفعة لجميع الناس اذ بفضله يحصل الناس على الأمن والراحة فعلى الناس جميعا ان يلجئوا الى الصلح عندما يقع الخلاف بينهم كما يفعل كبار الناس فى أيام الشدة انه قال :

يامن أبى عن فعل صلح وامتنع · والصلح خير ناله من يتبع
كم نعمة فى الصلح والتوفيق · وكم فضيلة لذى التنابق
لو لم يكن فى الصلح غير الأمن · وراحة الناس وفقد البين

يرى الحاج عمر الفوتى ان مسئولية الأرواح التى تسقط فى ساحات الوغى والمعارك الدائرة بين المسلمين او الذنوب فكلها تقع على عاتق قادة الناس الذين جروا رعاياهم الى هذا التناحر لذلك قال :

اعلم بان فعل العسكر · فعل اميرهم غدا فى المحشر

اذ كان الف الف قتل ... فاثم قتلهم عليه قد حمل
لان من يأمر بالقتال ... والقتل والاسر واخذ المال
هو المحاسب عن الجميع ... فياله من هائل فظيع

وأخيرا حمد لله وشكره كثيرا وذلك لأن الله تعالى قد الهمه القيام بتوجيه النصح الى هذه الشعوب المتنافرة انه قال :

الحمد لله الذى الهمنى ... نصح عبده علمنى

ومن أهم قصائده المشهورة ، تلك التى سماها (تذكرة المرشدين وفلاح الطالبين) التى ألفها سنة ١٢٤٤ هجرية فى المدينة المنورة بين أروقة المسجد النبوى الشريف ففى هذه القصيدة نجد أنه لخص فيها وجهة نظره فى هذه الدنيا . الدنيا فى نظره غرور . ذلك لأن نعيمها لا يبقى بل يزول . أما الآخرة فهى دار القرار التى يوجد فيها مقرين للخلود وهما : الجنة والنار .

هذا ولما كانت الدنيا سحابة صيف زائلة فعلى أصحاب العقول السليمة أن يعتبروا الى هذه الحقيقة الدامغة وأن يسعوا من الآن فصاعدا الى ما ينفعهم فى الحياة الأخرى يوم لا ينفع الشجاعة والجاه والقرابة وان لا يكون همهم فى الحياة مجرد جمع المال والتكاثر فى الأولاد . لأن المال والبنين لا تزيد الانسان سوى الهم والغم انه قال :

يا أيها الأخوان لا تشتغلوا ... بالمال والبنين خيرا اعملوا
هم وغم دائم للمشتغل ... بالمال والبنين خيرا واعملوا
اذ هذه الدنيا غرور باطل ... واعمل لدار دائم ياغافل
اذ كل شىء كآن لكن زائل ... فهو غرور فاعتبر ياغافل

ان المال والاولاد لا تنجى الانسان ابدا من عذاب الله ...
وعلى هذا يجب للعاقلين ان يتوجهوا الى ربهم قبل فوات الاوان
التى لا ينفع بعدها البكاء او الندم ، بل وهذا هو : الخسران
المبين ، آه لو كان الانسان يعرف حقا ما فى النار من انواع العذاب
هرب حالا من عالم الذنوب الى عالم العبادة قال :

يا ايها المغرور بالآمال ويحك تب واقصد الى الاسهم
بادر الى الخيرات قبل الفوت لكى يطيب العيش بعد الموت
نكال رب الخلق والنيرا ن لن ينجم منها المال والاولاد
نكل من شغل بالا ولا د وكثرة المال عن التمر
عن ذكر ربه فذ وخسران كانه حالف ذى النيران
لو كنت تعلم ما الذى فى النار من حية وعقرب وغير

الحاج عمر الفوتى يعتبر الحياة سما قاتلا ، لذا فانه يحذر
الناس بضرورة الابتعاد عن الدنيا وغرورها التى لا يتبعها سوى
اصحاب العقول الصغيرة انه قال :

الا اتركوا يا قوم سما قاتلا يغر من ليس لبيبا عاقلا

ان الحاج عمر الفوتى يتحمل مسئولية كبيرة لنفسه فى سبيل
توجيه وارشاد الناس الى الطريق المستقيم . ولعل ذلك يرجع
الى ذلك المركز الدينى الممتاز الذى كان يحتله الشىء الذى جعله
يشعر بالامتياز لوجود آذان صاغية لأقواله انه قال :

يا ايها النوام قد امرتكم بتوبة نصيحة لربكم
انتبهوا قبل حلول الأجل لكى تنالوا الأمن قبل الأجل
حان الممات وعلام تغفل عن العبادة وماذا الكسل
تداركوا ما فات من تقصيركم قبل الممات ولقاء ربكم

يحثو الحاج عمر الفوتى ويذكر انه يجب على المسلم ان يتعلم ليكون عالما لكن يجب بعد ذلك ان يعمل بما علم ، ذلك لان خيار الناس هم اولائك الذين تعلموا وعملوا بعد علمهم بما علموا اما اقبح الناس فهو ذلك العالم الذى لا يعمل بعلمه انه قال :

اشتغلوا بعلم ثم العمل — لا ينفع العلم بغير العمل
ان خير الناس عالم عمل — بعلمه وغير هذا عنه مل
ان الذى علم دون العمل — شر العباد اعملن لا تعتزل

فالحاج عمر الفوتى يرى ان لو كان الناس جميعهم فى طاعة الله لتكفل الله لهم صلاح أمرهم بالاضافة الى ذلك فهو يؤمن بالعمل يصلح الناس كلهم به . انه يذكر أيضا بان ما يعتقده البعض انهم يوم القيامة قد يكلفون الناس من جهة الله ويدخلونهم الجنة فيجب ان نعرف بان ذلك زور وبهتان لقوله تعالى : (... وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ....) النجم ٣٩ — ٤١ — قال :

فليس للانسان شىء غير ما — قدمه من ماله كن فهما
اعلم أخى ان ليس للانسان — الا الذى سعى من الاحسان
كونوا الى الرحمان مقبلينا — عن كل ما سواه مدبرينا
متى اشتغلتم بذكر ربكم — يغنيكم الله على عدوكم

فالحاج عمر الفوتى يرى ايضا ، ان الملوك والعلماء هم الذين تآمروا ليفسدوا الدين وذلك لانهم لا يحكمون بالحق الذى اقره الله وامر باتباعه نعم العلماء لانهم باعوا انفسهم وضمائرهم للملوك مقابل الدنيا ونعيمها وهم بذلك لا يدرون انهم ببيعهم دينهم

وضمائرهم لاجل جيفة خبيثة هى الدنيا قد خسروا الدنيا والا
انه قال :

ما افسد الدين سوى الملوك   وعلماء السوء بالاسو
لم يربحوا فى بيعهم نفوسهم   وما غلت فى بيعهم لنفسهم
قد دارتعوا فى جيفة يبين   اتيانها لعاقل بسهل

ويختم الحاج عمر الفوتى هذه القصيدة بنصائح توصى
الناس بضرورة تطبيق تعاليم الدين الاسلامى السمحة ونبذ
العادات القبيحة التى لا يستحسنها تعاليم الاسلام مثل : ...
التفاخر بالانساب والالقاب والبخل والحقد وعدم التدخل فى شئون
الغير وفيما لا يعنيه ، احرى النظر الى الحرام والكبرياء والعجب
والنميمة واسائة الظن والحسد والغيبة وقول الزور . كل هذه
يجب ان يبدل بضرورة آداء الشعائر الدينية مثل الصلاة والصيام
واخراج الزكاة والحج والجهاد فى سبيل الله انه قال :

دم مستقيما يا أخى لتسلما   اياك والعصيان كيلا تندما
كونوا الى الرحمان مقبلينا   عن كل ما سواه مدبرينا
لا تطلبوا ان تكرموا بالنسب   لانه بالدين لا للحسب
اجتنبوا النظر الى الحرام   وامسك لسانك عن الحرام
اساءة الظن بعبد الله   تبطل ما تعمله بالاهى
يا ايها الغافل صم شهر الصيام   من غير تفريط وثن بالقيام
صل الفرائض مع الخشوع   رتل سجودك مع الركوع
خسران الشخص مانع الزكاة   معاير الدنيا بلا ممات
اما جهاد الحرب فاعلم انه   فرض كفاية وعظم شأنه

محمد جوب حوالى (١٨٣٢ — ١٨٦٨)

نشــأته :

هو محمد جوب المعروف بـــ (مؤرخ كمب) سبط مختارجك اس (عائشة) مؤسس قرية (كك) هذه القرية العريقة التى لعبت ومازالت تلعب دورا كبيرا فى بعث المعرفة ونشر الثقافة الاسلامية فى العصور الماضية والحاضرة . غير أننا — مع سوء الحظ لا نعرف عن حياته الشخصية ونشأته — رغم البحوث التى قمنا بها — أكثر من كونه عالما نحويا كان يعاشر موسى كل والد شاعرنا العمــلاق (مجخت كل) حيث كان بينه وبين هذا الأخير أيضا محاورات شعرية طريفة . وأنه توفى فى عهد (دميل ماجوج دجين ١٨٦٤ — ١٨٦٨) .

آثاره العلميــة :

ان كان البعض يعتقد بوجود انتاج غزير لمحمد جوب الككى فاننا لا نعرف له سوى كتابه الذى سماه بـــ (هدية المجيد أو معونة البليد) والمعروف لدى العامة السنغالية بمقدمة الككى نسبة الى قرية (كك) وهو كتاب يعالج علم العروض فى ابيات تبلغ عددها الى اربعمائة وتسعة وستين بيتا استهلها بقوله :

قــال محمــــد ككى الـــدار والأب من ذريــة المختــــار

ثم صــلاته على المختــــار من العــــالم بالاختيــــار

وآله المنورين المنهجــــا للناس اذ ليل ضــلالهم دجى

هكذا الى آخر هذه القصيدة التى تبلغ ابياتها الى ٤٦٩ بيتا .

ونلاحظ بالمناسبة انه يمكن مقارنة هذا الكتاب بالفية ابن مالك الشيء الذى جعل طلاب المجالس العلمية السنغالية يستفيدون منه اكثر من اى كتاب الفه عالم سنغالى ، ومعلوم أن مؤلف هذا الكتاب فى

الأصل ليس هو زميلنا محمد جوب بل عالم آخر يقال له (بن بون)
فعمل صاحبنا اذن ينحصر فى نظم الكتاب الذى كان نثرا فى الأصل.
انه قال :

فرمت نظم هذه المقـــدمة لشيخنا بن بون خذها محكمة
سميتها هـدية المجيــد فى النحو أو معـونة البليد
جعلته فاتـح الاعــراب للمبتدئى كافيـة الطـلاب

مجخت كل حوالى (١٨٤٥ ــ ١٩٠٢)

نشـــأته :

ولد مجخت كل حوالى سنة ١٨٤٥ م فى قرية من قرى (باكل) تعرف باسم (كرمكل) قرية أبيه موسى كل وموطن جده الـذى أسسها انه نشأ تحت رعاية أبيه وتأثر بعلمه ، تلقى منــه القرآن الكريم وعلوم الشريعة والنحو والعروض والبيان كانت تلك الدروس الأولية بالنسبة للفتى نافذة تفتحت على مصاريعها ليطل من خلالها على عالم الثقافة ، لقد كان هو مولعا بالثقافة والانكباب على الدرس والتحصيل اشد الولع ، ونشأ متوقد الذهن حـاد الذكاء راجح العقل فصيح اللسان شديد النباهة ، هذا ولما آنس فى نفســه المقدرة اصبح ساعد أبيه الأيمن ينوبه فى المدرسة ويتولى رد رسائله وهو بذلك لم يكن يدرك تماما أنه يضع لنفسه لبنات أولية للخلود فى عالم الأدب ، لا غرابة فى ذلك أن علمنـا أن أسرته مشهورة بالفطنه والذكاء كان أبوه فقيها يفد اليه عاشقوا المعرفة من كل الجهات ثم قاضيا لدى بلاط الملك (دميل ميس دند جور ١٨١١ — ١٨٤٥) .

وفاتــه :

توفى مجخت كلّ خلال سنة ١٩٠٢ ، وهى السنة التى عاد فيها الشيخ أحمد بمب البكى من منفاه ، وذلكّ بعد ان عاش ٥٦ عاما وحملّ نعشه من (عين الماضى) قريته التى اسسها الى مسقط راسه حيث دفن بجوار أبيه .

آثارة الأدبيــة :

يكون من الصعب جدا ان لم يكن مستحيلا ان نقفَ اليوم على جلّ انتاجات مجخت كلّ وذلكّ لاسباب عديدة منهــا — الظروف العصيبة التى كانت تحيط بالشعب السنغالى من جراء الهيمـــة الاستعمارية — لم يسبق ان اهتم احد قبلى بجمع آثارة الأدبيــة علاوة عن عدم وجود مطابع عربية فى البلاد يومئذ اضفَ الى ذلك أن بعض قصائده كان ممنوعة من طرف السلطات الاستعمــارية أليس هو القائلّ :

الله يعلم انى لم اكن ابـــدا	اهوى أناسا احبيهم (ببنسور)
وما (كمندا) و (كبتين) لدىّولا	(سرمك) ولا (كلونل) الا يعافير
ولا (تلابير) ولا (فنترمر) معهم	(كبلار) قائدهم الاخنـــازير
وهم جحاش اتان بينهم نهقت	اذا حـــدقوا تداويهم بدكتـــور
حمد اذا ما النصارى اخرجوا املنا	من بعدهم لديار الدين تعمير

هذا وعلى الرغم من هذه العراقيلّ فان الظروف لم تبخلّ علينا ببعض انتاجه مبعثرة ومن آثاره الادبية ايضا كتابه (مبين الاشكالّ) فى علم العروض الا انه للاسفّ لم يطبع هذا الكتاب بعــد ، رغم اهميته وقيمته العلمية .

الشاعر فى بلاط الملوك :

اتصلْ مجخت كلْ ببلاط الملوكَ الذين عاشرهم فاصبح بحكم هذا الاحتكاكَ معجبا ببطولاتهم ، فجاءت روائع شعره مدحا لهؤلاء رغم انه حاولَ طرقَ أبواب الشعر الاخرى ومن بين الذين مدحهم الملك (علبر انجاى) والملكَ (لتجور كونى لاتيرجوب) الا انه يجدر الملاحظة بالمناسبة ان مدحه لهؤلاء لم يكن ذريعة لبلوغ المجد أو جريا وراء لقمة عيش يسد بها رمقه اذ ثبت تاريخيا انه لم يكن فقيرا وقد كان أيضا بفضل ثقافته الواسعة قد حقق المجد الذى كان ينشده .

القاضى الشاعر :

اشتغلْ مجخت كلْ فى مطلع شبابه بالتدريس لكن ذلك لم يكن عائقا فى سبيل اهتمامه بالفلاحة لكثرة تلاميذه الذين كانوا يتولون تسيير شئون حقوله وجمع محصولاته الزراعية انه قال :

« ددفَ دوخ لفَ خنا تولمى آكَ جليـــه » .

الا أن أهم مهنة باشرها مجخت كلْ فى حيـــاته فهى منصب القضاء الذى ولاه له الملك لتجور كونى لاتيرجوب سنة ١٨٦١ حيث صار لفظ القاضى مضافا الى اسمه الشخصى هذا ويمكن اعتبار وجوده فى بلاط الملك لتجور كونى لاتيرجوب أخصب فترة فى حياته على الاطـــلاق .

شـــهرته :

استمد مجخت كلْ شهرته من ثقافته الواسعة ومن شاعريته الفذة وثروته الفكرية الهائلة وشعوره المرهف الدافق فضلا

حظوته بمنزلة رفيعة لدى الملك لتجور كونى لاتيرجوب حيث كان يجمع بين منصب الكاتب والقاضى معا أنه قال :

« ما كنت فى الدهر الا كاتبا حكمـا ... » .

وقد كان له أصدقاء خارج السنغال منهم الشيخ سعد أبيه (الشنقيطى) الذى كان يتردد اليه فى مناسبات شتى وقـد قال عنه هذا الأخير : ما رأيت فى (كيور) أعلم من القاضى مجخت كل هذا وقد ثبت أيضا انه لم يغادر السنغال لغرض يتعلق بطلب العلم ونزيد فى هذا قولا انه لو حدث ذلك لسجله فى شعره .

اغراض شـعره :

يمكننا تقسيم شعر مجخت كل الذى ساعدنا الظروف بجمعه الى الأقسام التالية :

١ ـ القسم الهجـائى :

ويضم ما نظمه الشاعر أيام شبابه دفاعا عن نفسه وشعره .

٢ ـ القسم الغـزلى :

ويتضمن وصف الجواد أثناء تنقلاته ووصف الحبيبة والتحاور معها باللغة الصراحة .

٣ ـ القسم الرثائى :

يتضمن رثائه لمحمد جوب المشهور بـ (مورخج كمب) .

٤ ـ القسم المدحى :

ينحصر هذا القسم فى وصف جيوش زاحفة ووصف أحوال جنود انكسرت نفسيتهم بسبب انهزامهم فى ساحات الوغى ، ووصف الاثر السيىء الذى تتركه الحروب فى المجتمعات .

٥ ـ القسم التعليمى :

يضم ما نظمه الشاعر فى النحو والعروض .

٦ ـ قسم الشكوى والاعتذار :

يتضمن حنينه الى الوطن (مسكنه) وذلك بعد ان وضع تحت اقامة جبرية أثر وفاة الملك لتجور كونى لاتيرجوب محاولا تبرير موقفه من التهم التى الصقت عليه .

١ ـ القسم الهجائى

ليس بين أيدينا اليوم معلومات ثابته تكشف لنا بالضبط الوقت الذى بدأ فيه مجخت كل انشاد الشعر وكل ما نعرفه هو انه ـ يبدو ان موهبته الشعرية تيقظت فى سن جد مبكر ، الا ان شعره فى هذه الحقبة لم يكن سوى هجائا ممزوجا بعتاب لاذع تصبغها فى الغالب روح السخرية والتهكم الذى يلجأ اليه الشاعر فى ظروف طارئة للدفاع عن نفسه وشعره أمام أولئك الذين يهدفون الى تقليل قيمته الثقافية الا أن أسلوبه فى فن الهجاء ان كان يتميز بالقدرة على التهكم وافصاح عيوب الخصم فهو لم يكن ليجيد هذا النوع من الشعر لولا رائيته المشهورة التى شك خلالها بجدية الملك لتجور كونى لاتيرجوب فى اقتناعه الاسلام كدين ، ذلك لأن أغلب شعره فى هذا الباب يظهر فيه التكلف والمغالات والمبالغة فى التعبير فاذا شعره حشد عبارات مختارة فى قالب شعرى معقد . طبيعى ان لا يكون له نبوغ بهذا الصدد وذلك لانه لم يكن يبطن الحقد والمرارة أو السخرية فى نفسه ومن شعره فى هذه الفترة القصيدة التالية :

فيا عجبا حتى اخى محمـــدا ركيكا غدى يهجو بن موسى كمالحا
وليس بذى نحو ولا لغـــة ولا عروض ولا شىء رضى له تاحا
الم يرتع كلتا يديه توجســـا وهو غدير يلتقى قوما ساحا
وهل لا تموت الآن غيظا لانه خمل خمول النجم اذ قمر لاحا
انا طعم مر من يدقنى يستقى ومن ذاقنى لابد أن قاع أو طاحا

التحليل :

يستغرب الشاعر فى هذه القصيدة كيف ان محمـــد الككى الجامد المعروف بركاكة الأسلوب لعدم تمكنه فى النحو وقواعـــد اللغة العربية والعروض والبيان أصبح جريئا دون أن ينتابه أدنى خوف فى توجيه سهام النقد والعتـــاب والسـخرية الى أبيــه (أبو الشاعر) ألم يعلم محمد الككى انه رغم ما يدعيه فى العـلم ليس الا بمثابة غدير صغير أما أبوه (أبو الشاعر) فهو بحر هائج ومعلوم أن البحر لما يتلقى بالغدير فلن يبقى للغدير أى كيان .

وله فى هذه الفترة ايضا القصيدة التالية التى يعرفنا خلالها باسماء محطات السكك الحديدية بين مدينتى (دكار واندر) انــه قــال :

وان ارت يا اخى الاســـفار معرفة (الكارات) فى القفـــار
فهى (دكار) مقصد التجـار ثم (رفسك) موضع التجـار
ثم (سبختان) اولو الكؤوس دار الكفـــار منزل المجـوس
ولتحسبن بـــلا نسيـــان (بوتا) (وجيس جنخن) بلاتواوون
ثم (تواوون) و (برغرى) وكن ملتحقا بـ (غاى) و (كل) وعوصن
و (تند) منها هكذا اشــتهر كذاك (ببر) (وغمب) للسفر

واجمعها (لوغا) و(سكل) و(بال) ثم (كيل) (تين جفين) بكل
جمعتها فى العد سبعة عشر (غارا) ونبهن بها اولوا السنن
ما رمت جمعها لكل لا ولا قد انتهى ضحى بحمد الله

* * *

فى السنة ١٨٦٤ الحق اقليم كيور الى الحكم الفرنسى للمرة الأولى وفى تلك السنة بالذات كان لتجور كونى لاتيرجوب فى الثالثة والعشرين من عمره بطلا مقاوما الا انه لم يكن يتمتع بشعبية تحول له اكتساب ثقة وتأيد الكيورين لهذا لما انهزم امام الفرنسيين بقيادة قائدهم (بنى لبراد) فى معركة لورو بتاريخ ١٢/١/١٨٦٤ هاجر الى (رب) مارا بملك سين (كمب دوفين جوف) الا ان هذا الاخير لم يكرم مثواه فواصل سيره ولدى وصوله (رب) عرض عليه الاسلام الزعيم الاسلامى (مابه جخ) فى مقابل احتضانه مع وحاشيته ، هذا وبفضل جهود مستشاره (دمب وارصل) حظى الملك لتجور كونى لاتيرجوب بتقدير الزعيم (مابه جخ) وبعد قبوله الاسلام كدين وكل اليه (مابه جخ) قيادة بعض حملاته . انه نار معركة (كرغور) وشارك مع (مابه جخ) فى معركة (بوسكت) الشهيرة . ومهما يكن فلشاعرنا وجهة نظر شخصى ازاء هذه الهجرة انه قال :

اصادق فى ادعاء الدين لتجور أم انماهمه بذلك كجور
مروه يدعى ويخضع كالملوك معا وهل براز النصارى البيض منذور
ما اهتم مذشب الا باحتشاء طلا حتى آتى يومه المعروف فى اورا
اذ جاءه عسكر «اقليز» قائدهم فيهم (كمندان) (وكبتين) ودكتور
وهو ينادى باسماه المجوس الى ان جاء لترود ركن ثم ماجور

حتى اذا اجمعوا طرارموا فرموا (بكن) فافترقوا والجيش مكسور
وهم يقولون ماذا الرعد حل بنا حيث الرصاص مع البارد منثور
فجاء (ميسى امبى) يدمى فقال له ها ان جند النصارى اليوم منصور
واننى لا ارى الا هزيمتنا فجل جيشك مقتول ومأسور
فثم ولوهم الادبار فانهزموا بالذل فادعوا الاسلام فى «نيور»
وظن ان له منجا ومعتصما اذ صار نيور له سكن وكثور
فجاء بالدين حلق الرأس عمده هل ذى حلاق بدون الحج مأمور
فقام «لبراد» يوما فى معسكره لم يبق (فنتزمر) ولا (تيرايير)
حتى لاقوه يوم الخميس ضحى فى (لوغا) أيضا كلا اليومين مشهور
كان جيش النصارى فى لقائهم اذا بوار يلاقيها العصافير
مثلا بمثل فقد حل الغدير لهم من بعد تحريمه اياه والبير
فالنصارى شئون من عجائبهم فلا تقل (عوض) ان اخبرتها زور
لله درهم فى كل معركة أميرهم مستطير الشر محذور
فهل أمير نحييه (يدو) و (جمم) بل التحية فينا اليوم (بنسور)

التحليل :

قد شك مجخت كل فى قصيدته هذه ما اذا كان لتجور جوب جدى فى اسلامه ام انه ادعى الاسلام فقط لكى لا يخسر عرش (كيور) انه شك فى اسلام هذا لأخير لأنه يرى ان الملك لتجور منذ ان كان صغيرا لم يكن همه الا شرب الخمر رغم أنه أخذ حظه فى الكتيبة القرآنية — ووعد ما لم يكن فى استطاعته ايفاءه لرعاياه ولم يزل على هذه السيرة حتى انهزم فى معركة (لور) حيث أتى قائد جيشه (ميس امباى) والدم يسيل منه وهو يخبر بان لم يبق فى صفوف جيشه الا وقد وقع فى الاسر ، هكذا — يقول شاعرنا — انه بعد هذه الهزيمة الذليلة النكراء لم يكن له بد ، من مغادرة

(بحور) والذهاب الى (رب) وادعاء الاسلام هناك ويكشف لنا
ايضا بان الملك لتجور جوب لما وصل الى (نيور) رفض الزعيم
(مابه جخ) استقباله ما دام انه لم يدخل الى الاسلام من هنا —
يقول شاعرنا — حلق راسه الذى كان عامرا بالضفائر وتظاهر
باخذ الاسلام دينا ظنا منه ان لجوئه الى نيور قد ينجيه او يعصمه
لم يقف الشاعر عند هذا الحد بل جاوزه ووصف لنا معركة
(لوغا) التى هزم فيها لتجور للمرة الثانية وذلك بتاريخ
١٨٦٩/٩/١١ .

هذا ويبدو انه كان هناك سوء تفاهم بين الشاعر والملك
لتجور كما كان من جهة أخرى سوء تفاهم مع (مابه جخ) اذ انه
قال فى حق هذا الأخير مستهزئا قال :

امارة (الميم) و (البا) افتحهما	والهاء مسكنة ام البليات
هو الأمير الذى قد كان عادته	فى الدهر نهب مال المسلم الآتى

القسـم الغـزلى

يدخل غزله فى باب اروع ما قاله فى الشعر ففيه نجده ذا حس
مرهف ومخيلة نافذة اذا وصف يأتى بجميع جوانب الموضوع يوضح
ادق جزئياته ويرسم أشكاله ويجسم مادياته بشكل يؤثر فى العين
ويلمس باليد فاذا جواده بسرعته عصفور يطير فلا يلمس الأرض
فيتوارى فى الافق او انه برق ومض او انه طيف يتلاشى كما يتلاشى
اثار الماخر فى البحر او انه يسبح فوق الماء كالنسيم العليل او انه
سابق للبصر اما معشوقته فهى بارعة الجمال بدرجة أن عيونها

يسكر كل من ينظر اليها لروعة بريقهما هكذا فان وصفه فى الحقيقة لصورة رائعة نابضة بالحياة وقد ساعده على هذه الطبيعة شاعريته الجامحة وتجاريه الواسعة انه قال :

تذكرت ازمان الهوى فالیـــالى   فالأيام لذات شرخى شبابيـــا
اذا ركبطرفا اسود اللونحالكا   كما نشر المصبوغ فىالليل داجيا
اخا ملهب ذى درة لهـــديره   دوى كالصوت الخذاريف حاكيا
وثوبا كظبى مرتع فى خميـــلة   وريع بمصطاد قد اختار اميـــا
حوافر مثل العقاب ومســـمع   كما انت الحرفت اليراعة باريا
كمشى لفلك صارفى اليم ماخرا   وعدو كطير طار فى اليم ماضيا
وانت متى ما مسكته بعنـــانه   ينازعك فيه وهو ينهض ثانيا
فلله در المهر لما امتطيتـــــه   فابلغنى دار الخريدة طافيـــا
فجئت وباب البيت اغلق مرتجا   فقالت من المستفتح الآن بابيـــا
فقلتبأخفىالصوت سرا ولينة   انا «مكل» لمعروفزرتك ساريا
معذب قلبقد دعانى الىالسرى   دواعىهواكفاستجب الدواعيا

اعائش قومى وافتحى الباب واشفى
ضنى منلطول العهد اوشـــك باليـــا

فقامت بهينوم وتخطو بطيئـــة   خفيفة خطوات كما كنت راضيا
فلما دخلناها وقد نام أهلهـــا   بلغنا بتعريش لديها الامانيـــا
فبت لدى حوراء تنسى ضجيعها   أوامر ربى كلهـــا والنواهيـــا
منعمة عجزاء اعدل قامـــــة   فلا قصر شين ولا طول غاليا
تميس كانبوب شـــقى وتثنى   بجيد محلى من ظبا اللئالئـــا
وتنظر بالعين من مقـــلة المهى   على لحظات كدن يقطعن باليا
. . . .   برائحة من دونها المسك ذاكيا

التحليل :

يذكرنا الشاعر فى هذه القصيدة أيام كان شابا لاهيا يقضى الأيام والليالى الحالمة مع معشوقته فى البداية يصف لنا كيف كان يغادر منزله فى جنح الظلام الحالكة ممتطيا صهوة جواده الأسود الحالك هذا الجواد الذى يشبه دوى حوافره صوت الخذاريف الحاكى ذلك الجواد الذى عندما يكبح جماحه ويظن انه واقف ينطلق من جديد فجأة وبسرعة هائلة انه لجواد يوصله الى دار الحبيبة فى وقت متأخر من الليل يقول انه لما وصل وجد بابها مغلقا لذا وقف يستفتح ويرتجى ويستعطف منها الا ان الحبيبة استغربت متسائلة على ما يستفتح باب بيتها فى مثل هذا الوقت المتأخر من الليل الا انه (الشاعر) أجابها بصوت منخفض ان الذى يستفتح الباب لهو حبيب العمر فحينما قامت هى متبخرة نحو الباب وتخطر بخطى ثقيلة كانت هذه الكيفة هى المحببة لدى الحبيب (الشاعر) قال لنا انه قضى ليلته مع حبيبته التى تنسى ضجيعها تلك الواجبات التى هى بين العبد وربه انها فى الحقيقة لرائعة الجمال لها جيد كجيد المهى ولها أيضا عينان سودوان اللتان كادت لحظاتهما تقطع باله هكذا وصفه ظاهر لا تكلف فيه صادق لا مبالغة فيه .

* * *

القسم الرثائى

لم نعرف للشاعر قصيدة فى الرثاء الا التى خصها لمحمد جوب المشهور (بمورخج كمب) صاحب المقدمة الككية فى النحو نسبة الى قرية (كك) حين وافته المنية من جراء لذغة حية فى مصلاه وهو يؤدى فريضة العشاء . فاذا رثائه شعور بالألم فتتأثر بالفاجئة ثم عواطف جياشة ووجوم امام الموت فمؤازة بين بهجة الامس وحسرة اليوم هكذا . والقصيدة برمتها تمثل لحنا باكيا انه قال :

تعالى ناع ابرع العلماء — واسبقهم فى نهبة ودهاء
وانبأنى ان ساورته ضئيلة — من الرقش فى المحراب وقت عشاء
فسالت على الخدين منى امع — متى تمرها راحى تفض بفحاء
فلله عين انفضت عبراتها — بكاء فظلت تنهمى بدماء
تحرق منى الصدر حتى كأنما — به شعلة تشويه كل شواء
لان ركب الحدباء نعش محمد — لقد حملت ذارتبة وعلاء
فليس وان حل المقادير مبعدا — بلى ان من تحت اللجوء لناء
لقد جلب الناعى الككى محمدا — لنا ضحوة الاثنين طول بكاء
فيا فائق الأقران سيد جيله — رئيسهم فى فطنة وذكاء
انمهم عقلا ودينا وشيمة — وابرهم فى جوده وبهاء
نااين من الأخوان جر مشاعر — نماريه فى الاشعار كل مراء
وفى النحو والعروض والعلم كله — نباهى بلا ذنب لنا وقضاء
الا ما النياح والتفجع لائقا — بمن هو مات ميتة الشهداء
وشاعت بآفاق البلاد سماته — كما قد فشى المختار كل فشاء
وكان قرين العين منذ حياته — بمال واولاد له ونساء
الا قصر عمر فى اشتهار كلويه — فلا خاله من كان تحت سماء

وما الموت الا موعد الناس كلهم   فلابد من ايفاده والقـ...
وان كان من شاب اشد مرارة   فسوق المنايا سابق بقضـ...

التحليل :

قال صاحبنا ان الناعي لما اخبره بما حل الابن عينه في ...
وهو يؤدي فريضة العشاء ذرفت عيناه دمعا حتى لم يبق ...
قطرة من الدمع علاوة عن اللهيب المحرق الذي يشوي ...
ضمنيا ذلك لأن الموت قد حصد له اخا شاعرا طبقت شهرته الآفاق
انه (الراحل) فقيه مجتهد بلغ مبلغا كبيرا منذ كان طفلا صغيرا
سواء من الناحية العلمية او في المال والاولاد . قال متسائلا اين ...
بشاعر يباريه في الشعر مراثا ان الراحل لفقيد فاق جيله و...
زمانه بالفطنة والذكاء انه اتمهم دينا وارجحهم عقلا واوسعهم ...
نعم اين يكون له عالما متضلعا في النحو والعروض والبيان ...
(مجخت كل) بعلمه هذا الفقيد الذي باختفائه قد ترك وراءه ...
نظر (مجخت كل) فراغا كبيرا لم يعرف اين يأتي من يسده ...
الشاعر الى ابعد نقطة ليكشف لنا الالم والفجع الذي اصابه
لما اخبره الناعي بموت شيخه الا ان ذلك كما يرى الشاعر
ضروري ولائق بمن يموت في ميدان الشرف كما يموت الشهيد
البطل . كما الفت الانظار بان الغياب في ظلمة اللحد لا يمحو
الابطال ومشاهير الرجال والعباقرة في سجل من سيصبحون ...
عشية وضحاها نسيا منسيا . بل انما ذكرهم باق . ويقول ايضا
ان ليس في قصر الاعمار عيب لان الموت بالنسبة للاشخاص ليس
الا موعدا محتوما اذ القضاء باصابعه الخشنة قد حدد وخطط و...

هذا اللقاء الذى ليس للافراد بازائه ومين مكان وساعة هذا اللقاء . فعالة تغيير لانهم امام جبروت الموت عاجزون سواء كان الشخص شيخا او شابا فى ربيع حياته أو طفلا فى مهده أو جنينا فى بطن امه .

القسم المدحى (السياسى)

شغل المدح الجزء الاوفر فى شعره انه قد استطاع بفضل ما اعطى من عقل ثاقب وبصيرة متفتحة وشاعرية فذة ودقة فائقة فى الملاحظة والتصوير وسعة فى فن التجريد والتصميم ان يجعل شعره فى هذا الباب كاسا صب فيه عصارة ذهنه المتوقد فاذا شعره وصف دقيق فى أسلوب جميل رائع يهز الفكر ويحرك الضمير ، ومن قصائده يمدح الملك (علبر انجاى) القصيدة التالية :

نهيت عن حصن (يغ،يغ) قوم تيجان فقلت لا تقربن دارتيجانى

لكن قد اقتحموا نهيى لانهم عمى البصائر طراصم اذان

قد غرهم انهم يوما (كك) انتصروا من يومى (سق) وتيوان

وصار بالجيش من حاف ومنتعل وراكبون خيولا أى فتيان

لنهدمن عليهم حصنهم بغد ولا ابالى بحيطان وبنيان

حتى اذا فاجئوا الضرغام افزعهم الشبل وهواتاهم نحو «بنيان»

فانقض مثل انفضاض الطير معتطفا طيرا بغا ثا رناها فوق اغصان

نجا وقطف مرات بمهجتهم حسامة قدر طرف العين من ران

وكركرة أيضا ثم ثلثهم داميهم أو صريع كب أو هان

واعلمت ميتما عن مدفع يده مخضوبة بدم حتى بادهان

والابيض الناصع الطرف المكرلهم تحول اللون لون الاحمر القانى

خلوا الحصن أياما له ونحوا نحو الغدير نوموا جلهم فسل
والبئر هناحمى الضرغام واجتنبوا وروده لم يكن منهم لسه دان
بالله قد خانت الارواد من وردوا ماء الغدير فرادوا جلهم فسل
بل بين ما جرعته منه اذا اسد على، جواد وفرسان بفرسان
ليلا بليل تولوا مدبرين الى (ورخوخ) ثم بنى حصنا لهم بل
واغضبن اباد الضيم (علبر) من يصلى الحل حروب كل نيران
وقام فى عسكر لم يذعنوا ابدأ وقلهم فى الوغى والكثر سيان
وبايعوه رجالا لا يهول لهم صف العداة والوكل ليمان
ان الرصاص مع البارود ان وصلوا
لهم رعود مع الامطار تهتان
لقيت منهزما منهم اسائله فقال لم ينفلت منا من انسان
انادها بحصن ثم مفترس صاروا فلم يبق ومن شيب وشبان
نعم الفتى (علبر) المأمول نائله والمنتقى بأسه فى كل اجيان
فقلت تلك السجيا قد توارثها آباء آبائه قدما من ازمان

التحليل :

يعتز الشاعر فى مطلع هذه القصيدة بذاكئه وعقله وبصيرته النافذة يرى انه يتمتع بحدس حاد يدرك حتى ادق خفايا الأمور، انه يعتبر نفسه من أولئك الذين يجب استشارتهم والأخذ بآرائهم الا انه من لم يأخذ ويعمل بآرائه ونصائحه العالية وارشاداته، فماله هو الاخفاق والفشل كما حدث ذلك (لنتيجانى) ورجاله الذين اعمى بصائرهم وغرهم انتصارهم فى معركة (كك) و (سق وتبوان) لذا جهزوا جيشا عرمرما قوامه فتيان فى ربيع حياتهم ولم يكن هدفهم سوى هدم حصن (يغ ، يغ) واسر سكانها ونهب ممتلكاتهم بـ

فيها اموالهم وأموال الملك (علبر) وأهله . هكذا كانوا يتخيلون الشيء الذى دفعهم الى انتهاز فرصة غياب الملك علبر انجاى ومعظم جيشه نحو (بنيان) لاشباع رغبتهم الا ان أنباء هذا الهجوم المباغت لما وصل الى مسمع الملك (علبر انجاى) انه قام بالفور وانقض على اعدائه وامطر عليهم بوابل من الرصاص والبارود وعندئذ عرفوا يقينا ان الشجاعة والاقدام شيمة لا تشترى بثمن أو بغدر ، انما تورث من الاباء أو من الاجداد جيلا بعد جيل ، ولشاعرنا فى مدح الملك علبر أيضا القصيدة التالية التى نظمها أثر انتصار هذا الاخير ضد خصمه (دمل صمب لوب فال) فى معركة (كل) بتاريخ ٥ يوليوز ١٨٨٥ انه قال :

سلام كما بدر الدجى أو بما احلى
وكالزهر أو ابهى كالشهد أو احلى

به طار قلبى مترفا قلمى به
بخطى بنانى، حيث جسمى قد كلى

الى هازم جيش الكماة مفرق
كتائبهم ذاقوا به الموت والفصلا

الى ابن اباة الضيم محق شجاعة
وجود مميت الجبن والسح والبخلا

الى (علبر) الليث الذى لم يلاقه
من الصيد الا اباد أو البس الذلا

اما اقتحمت امرى رجالا نهيتهم
عن اتيان (بغ بغ) من برازهم الشبلا

فتى صاح يوم (امبلغى) صيحة
بها ايتم الصبيان واحتدت الكحلى

لنعم امرؤ رآه الجنود عشية
وظالمه (بغ،بغ) من برزهم الشبلا

فقلت لهم لا تقربوا! الضيغم السارى
ولا أرضه ان لم يكن امكم ثكلى

وان افتراسا وانتسابا ببرثي   الادهى من الطاعون كلا ولا كلا

ولولا غـروب الشـمس من حيث لا يرى
اذاق المنـايا كلهـم غـير من خلى

سلوا اهل (سالم) واذكروا (بـر)
واذكروا (برمجيم) والصرعى هنالك والقتلى

تالوا جموعا من صفوف عرمرم   لتقتسـمن مال (علبر) والاهلا

التحليـل :

تحية عطرة من قلب مفعم بالحب خافقا بالفرح عامرا بالود والوفاء الى ذلك البطل المقدام الذى يشطط جموع الاعداء ويبدد حشود جيشهم الى من يبذر الشجاعة فى صدور الجبناء ويجعل البخلاء اسخيا ، الى الاسد المفترس الذى لا يلقى مصيدة الا وقد البسه رداء الذل والهوان الى الملك الهمام (علبر انجاى) الذى من اراد ان يعرفه فليسأل أولئك الذين جمعوا ما كان عندهم من قوة وعدة لغزو (يغ يغ) ماذا وقع لهم ، أو يسألوا الذين حضروا معركة (امبلغى) ذلك اليوم العصيب الحاى الذى خطفت نبه السيوف والرماح . الارواح خطفا انه ليوم عسير أيتم فيه الصبيان يوم صاح فيه الابطال ، ابطال معسكر العدو نادمين وذلك لضراوة المعركة والشجاعة المعنوية التى يتحلى بها رجال الملك المظفر (علبر) ان جيشـه قوى بشـكل لا ينوى اى عدو اللقـاء معه الا الذين يريدون ان يصبح نسـائهم ثكلى . ان اثر جيش الملك (علبر) فى ساحات المعارك لاسوأ بكثير من الاثر السيء الذى يتركه مرض الطاعون ورائه . يقول لنا الشاعر انه لولا غـروب

الشمس فى ذلك اليوم لكان قد ابادهم (علبر انجاى) عن اخرهم ومن شك فى ذلك يقول الشاعر عليه ان يسأل اهل (سالم) او (بر) او (برم جيم) حيث كانت القتلى والجرحى والصرعى .

***

بعد معركة (صمب) الشهيرة أو بعد وفاة (مابه جخ) بتاريخ ١٨ يوليو ١٨٦٧ قفل الملك (لتجو كونى لاتيرجوب) راجعا الى (كيور) الا انه فى هذه المرة لم يكن ليظهر عداوته للفرنسيين كما كانت العادة من قبل ، بالعكس أصبح صديقا لهم لحاجة فى نفسه هذا وفى سنة ١٨٦١ أعتلى عرش (كيور) ملكا وزعيما مسلما بموافقة الفرنسيين هذا ورغم وعد المصالحة التى قطعه معهم سنة ١٨٧١ — خاض معركة ضدهم فى السنة ١٨٧٣ وبانتصاره فى هذه المعركة نظم الشاعر قصيدته هذه ويهنئى فيها الملك لتجور كونى لاتيرجوب وتلفت نظره الى ما سبق ان شك خلالها بجدية الملك لتجور كونى لاتيرجوب فى اسلامه . الا اننا يمكن ان نلاحظ هنا ان الشاعر نظم القصيدة التالية فى نفس البحر ونفس القافية اللتين نظم بها تلك القصيدة التى عالجناها قبلا انه قال :

بشرى لقد ساد دين الله لتجور	واحيى اليوم بالاسلام كيور
وهل ترى ناديا فيه تمر به	الا ويسمع تكبير وتهليل
تلقيه يأمر بالمعروف عسكره	كأنما جاء من ربه نور
يروع افئدة الاعداء كتائبه	كأنهم غنم بالاسد مذعور
ليدخل الناس طرا فى طريقته	طوعا والافسيف الموت مشهور
على م قال النصارى لايزال لنا	ملك وهل قيلهم الاساطير

مار النسور مرارا والضباع معا عنهم

وهل جمع أهل الشرك مكسور

مازال يضربهم بالسيف يطعنهم حيث الرصاص مع البرود منثور

لم يشتك الجوع من نسر ومن ضبع

الا وهامهم فى البيد مجرور

فقام سبعة أعوام يبارزهم حتى رأى ان جند الله منصور

فحاولوا السلم منهم قائلين له لك البلاد فهذا خذه (كيور)

تالله ماسالموا الا لما عهدوا أيام لاقوك فى (غلغل) وفى (نيور)

و (لوغا) بعد (مخى) فالسلم موجبه

لم يخف انك ياضرغام محذور

فلا يسؤك مدى الايام انهم فاجوك فى (مخى) الثانى وفى الورى

كم حاربوك حروبا لا تطيب لهم نفسا وأنت قرير العين مسرور

خالوك منزعجا اذ كنت ذا بعد وان ذاك مع الاكباش تأخير

ومن (منداخ) جمعت الخيل تركضها

مرد علامتهم حلف وتقصير

مثل الجراد بهم غص القضاء وقد

غاظوا وغاروا كما فارة التنور

يبادرون حياض الموت قاطبة ثم العرانين أبطال مشاهير

ينازعون جيادا فى أعنقها ترنو اليهم نساء الجنة الحور

يمشى المشاة أمام الركب واختلطوا

اقدامهم تشتكيها التل والغور

لهم غبار يكاد الجو ممتلئا منه اذا قلت فيهم امر سرى

يقودهم عمك المختار محتزما كالليث ذى اللبد شاكى الاظافير

وقد تلقاك بالتامير اهل النهى اذا مقال النصارى (مرس) لتجور

لله درك من جم غوائلـــه | باق الثناء ليوم الدين مشكور
هل تغضبن لقصيد قلته وجلى | عند العدى ان ذا الاوجال معذور
لم ادر هل انا تيس فى السباع اذ | أو أننى بيد الصبيان عصفور
الله يعلم انى لم أكن ابـــدا | اهوى اناسا احيبهم (ببنسور)
ولا (كمندا) و (كبتين) لدى ولا | (سرسك) ولا (كلونل) الا يعافير
ولا (ترابر) ولا (فنترمر) معهم | (كبلار) قائدهم الا خنـــازير
وهم جحاش اتان بيهم نهقت | اذ حـــدقوا تداويهم بدكتـــور

حمدا اذا ما النصارى اخرجو فلنـــا
من بعـــدهم لـــديار الـــدين تعمـــير
احرجتهم بحروب ذكرها ابـــدأ | باق بقاء جبال الأرض مشهور

التحليـــل :

يقول شاعرنا ان الاسلام قـــد أصبح منتشرا فى ربوع كيور حتى ان النوادى باختلاف أنواعها لا يسمع فيها المار الا التهاليل والتكبير وذكر الخالق سبحانه وتعالى ذلك كله بفضل ايمان لجور كونى لاتيرجوب الصادق وتمسكه باهداب الاسلام الحنيف ليس هذا فحسب ، انما جل حاشيته يقومون بنشر تعاليم الاسلام بين صفوف الجند فى الجيش ، لكى يدخلوا الى الاسلام من جهة ويدخل الاسلام الى كل بيت من جهة أخـــرى . وبذلك يجتمع جل رعاياه تحت ظل الاسلام الوارف والافان سيف الموت قد يشهر من غمده فى سبيل اعلاء كلمـــة الحق يقول شـــاعرنا ان جند لتجور كونى لاتيرجوب بقوة ايمانهم بالله ومدى تمسكهم بخطة قائدهم كل هذا العوامل تجعل جيوش الخصم دائما فى موقف حرج حتى كان الخصم فى مواجهتهم (جيش لتجور) لاشبه بقطيعة غنم ظهر اسد بينهـــا

نجاة . قال ان الضباع والنسور كانما كانت — مقدما — تعرف الساحات التى جرت عليها المعارك بين لتجور جوب واعدائه وكأن كانت على موعد بوقوع هذه المعارك وما قد يحل بجنود الخصم لذلك كانت تتردد عليها بين حينة وأخرى متسائلة الم تجر المعارك بعد لنأخذ نصيبنا من جثث القتلى ، يمضى الشاعر قائلا ان جنود لتجور كونى لاتيرجوب يتحملون فى ساحات المعارك ما لا يتحمله اى جندى ولذلك لما يتلقى معهم الخصم على الدوام فان الخصم يتلقى من عندهم درسا قاسيا على الدوام بل فهم يخطفونهم خطفا بسيوف لا تنقطع لحظة طول المعـــارك وبذلك يوقعونهم صرعى ومعرضين على الضباع والنسور التى لم تعـد تشتكى الجوع والعطش ويمضى الشاعر مادحا الملك قائلا له انت البطل المنفرد الوحيد الذى حارب الدخلاء طوال سبع سنوات كاملة واستطاع بحكمته الفريدة تحقيق انتصارات متلاحقة ناصعة ضدهم ومن تلك الانتصارات (غلغل) و (نيور) هكذا ولما لم يجدوا حولا ولا قوة بازائك (يعنى لتجور) حاولوا عقد صلح معك وهم بهذه المحاولات والاجرات كانوا مرغومين لانهم كانوا يدركون انهم لولا هذا الصلح فهم قد يذوقون هزيمة أخرى لا محالة .. لذا يا الملك لتنجور كونى لاتيرجوب فلا يسرك كون جندك قد انهزموا فى معركة (مخى) و (لور) لان الانتصارين لا يقاسان بالهزائم النكراء التى انزلها جيشك عليهم انهم كم من مرة حاربوك منهزمون نفسيا بسبب قلقهم لما لجندك من شوكة ودراية فى فن الحـرب وانت يالتجور كونى لاتيرجوب وقتئذ مرفوع الراس قرير العين مرتاح

البل نعم تذكر يوم كنت لاجئا سياسيا فى (رب) بعيدا عن (كيور)
وهم (الاعداء) يظنون ان شأنك بذلك قد انتهى جاهلين او
متجاهلين ان اطلاق سراح الكبش ليرعى فى العشب ليس الا تمهيدا
لذبحه آجلا أو عاجلا . فذلك هو شأنك يالتجور مع أولئك الذين
اغاروا على رعاياك وانت بعيد فى (منداخ) غير انك لما انطلقت
من هذه المدينة بجيشك الباسل والخيول الاصيلة التى امتطى
صهوتها شبان فى ريعان شبابهم يتقدمهم عمك (المختار) ومعه
مشاة لا تشتكى اقدامهم التل أو الغور ففى ذلك اليوم كانت السماء
غائمة بسبب الغبار الكثيف الذى يتركه هؤلاء الذين لما اصدرت
اوامرك اليهم اصبحت عيونهم لا تعرف الكرى كما لا تذوق اجفانهم
طعم النوم وهكذا فى مسيرتهم لا يعرفون احدا ولا يميزون بين الليل
والنهار أولئك الذين يتقدمهم عمك (المختار) فكأنه أسد بمخالبه
يتهيأ لملاقات فريسة لهذا كله لما وصلوا الى (كيور) بهروا
الفرنسيين الذين لا يسمع منهم سوى كلمة واحدة هى شكر
يا لتجور شكرا يالتجور .

ان هذا الموقف الخالد الذى وقفته بالتجور انت وجندك فى
المعارك الطاحنة التى سجلتها معهم بدماء وطنيتكم الصادقة
وغيرتكم الغالية فذكرها قد تبقى راسخة فى قلب كل سنغالى يعشق
أو يعتز ببلاده . وفى نهاية القصيدة نجد الشاعر يعتذر لما سبق
ان قاله فى حق الملك لتجور كوني لاتيرجوب فى قصيدته الرائية
المشهورة والتى كان قد شك خلالها كون لتجور كوني لاتيرجوب
جديا فى اعتناقه الاسلام كدين . قال متسائلا ، ايغضب الملك لتجور

لمجرد قصيدة قلتها (الشاعر) فى ظروف غير مناسبة وتحت ضغط شديد ، أو لم يعلم الملك لتجور اننى لم اكن يومه اعرف هل انا تيس فى ايدى السباع أو اننى عصفور بين ايدى الاطفال فالشاعر يشير الى الاوضاع التى كانت تحيط بالشعب السنغالى من جراء الهيمنة الاستعمارية واخيرا يبرء نفسه من المواقف والضغوط التى كانت تحيط به ايام كان ينشد قصيدته هذه (اصادق فى ادعاء الذين لتجور) قائلا ان الله يعلم يقينا انه لم يكن ابـدا يحب اناسا يحييهم بكلمة (بنسور) ان هؤلاء الدخلاء (النصـارى) برتبهم المختلفة ليسوا الا جماعة من الخنازير والجحاش التى تنهق وعليه متى يتم تطهير البلاد من هؤلاء النجسة (الاستقلال) لن يبقى املنا سوى احياء بلادنا وتكوينه تكوينا اسلاميا صحيحا ، حيث سنشكر الله سبحانه وتعالى لا محالة انهـا فى الحقيقة لنخوة سنغالية غاليــة .

والجزء الأخير من هذه القصيدة يمثل لونا من جدية الشاعر ووطنيته الصادقة بالاخص البيت الأخير منها وعلاوة عن ذلك فان القصيدة تحتوى على معلومات تاريخية قيمة يجد فيها المؤرخ ثروة هائلة ومعلومات طريفة هذا ونزيد قولا انه لا يمكن الاستغناء عنها لمن اراد ان يؤرخ حكم الملك **لتجور كونى لاتيرجوب .**

* * *

مضى وقت ومجخت كل لم يتعلق بأية طريقة من الطـرق الصوفية رغم انه كان صديقا حميما لشيخ سعد أبيه الشنقيطى ومع ذلك لم يأخذ منه الطريقة الصـوفية القادرية . وقـد عاشر الحاج عمر الفوتى أيضا فترة من الزمن وكان هذا الأخير يحرضه

خلالها بأخذ الطريقة الصوفية التيجانية دون جدوى واخيرا اخذها من عالم تكلورى يقال له (جيرن جارديبا) الذى كان يسكن فى قرية (باكك) وبهذه المناسبة ، مناسبة تعلقه على اهداب هذه الطريقة نظم الشاعر القصيدة التالية يمدح فيها ابى العباس أحمد التيجانى مؤسس الطريقة التجانية انه قال :

تمادى جموح النفس فى اللهو والدد
وطاعتها أمر الهوى والتمرد

وفى حب رنات المسامير والغنى ... ورجز كتمثال الكتابى اجرد

وغيد الغوانى الحور عينا كواعبا ... ذوات طموح فى كمال التخير

لها من قنا الخط القوام أو الظبى ... الطلا أو مهى الوحش العين بأثمد

اليهن قد اسرى الهوى الردى ... فمن لى برد النفس عنها بمقود

ومن لى بأستاذ الوذ بورده ... يقنى يقينا كل هول بمورد

ومن لى باستاذ عالم ذى معارف ... طبيب لأدواء القلوب مسدد

يحيل نحاسى خالص الذهب الذى ... يقلب بين الناس باليد

ومن لى بشيخ بالشريعة كلها ... بصير بأسرار الحقيقة مرشد

ومن لى بشيخ ذى علوم غزيرة ... يطهر ادناس الرزائل مرشد

ومن لى بشيخ ذى خوارق جمعة ... سراياته تهدى المريد فيهتد

ومن لى بشيخ لا يضاح مريده ... يفرج غم اليوم أو فزع الغد

فجلت فجئت الناس فى كل موطن ... وجلت وجبت البيد من كل فدفد

الى ان اقروا بين باد وحاضر ... بان لم يجد دهر بهذا ويوجد

وهل يكمل الاوصاف الا لواحد ... يكن ابا العباس نجل محمد

وهذا ابو سالم وهو خامس ... لاجداد شيخى سيد بعد سيد

حوى الشرف الطينى حيث انتسابه
لفاطمة الزهراء بنت محمد

مع الشرف العلمى من حيث كشفـــــه
عن الغامض الحجب فى كـل مقصـــد

الى الشرف الدينى حيثطريقة
طريق الضمان الهاشمى المؤيد

ارى نظرى العلم حتى اصاره
ضرورية البادى لدى كل مسنو

رضى يوسفى الحسنى والوبل لـم يكـن
بانفـــع منـه للـورى أو بأوحـد

فمن مثل هذا فى المشايخ لا يرى
ولم ير أو يسمع ويعلم ويولد

وقل يمرئى من الهى ومسمع
الى ذاك القيت القياد وقد تد

وانى بأستاذ الاساتيذ وحده
تقيدت طول الدهر كل تقيد

فصار انخراطى الى سلك عهده
ولا شىء الا كان عنه تجرد

فأصبحت انى فارقتنى علائـق
عوائق عن ورد الشريف المجد

مرب مرق من يكن يستمد من
بحور الفيوضات الزواخر يمد

الهيه انواره ميسفيضـــــه
يدوى بأمدادتهـا الصـــد

مفيض على أصحـاب لدينـه
وكحل صحيح العين ليس كمرود

رأى فى حضرة احمـــدية
فنال به ما نال من كل سؤدد

له ماله فى حضرة قدســـيه
فمـــازال بالنور الالهى يرتـد

خضعن رقاب الأولياء بأسرها
الى قدمى هذا التجانى احمد

نسبناه للاقطاب نسبة منصف
بمثل الثريا للثرى او بأبعـد

فثن أو اجمع خير من رجالهم
فما مئات كونه غير مفـرد

فما الجوهر الفردى قد علمته
بمنقسم كلا أو متعـــدد

له منتهى الاوراد لا ورد مثله
طريقته المهـدى المريد ومقتد

ومن بأبى العباس لاذ حيـاته
يعد مطلع الابيات ذى ويردد

كمـا ردد الورقاء فى غصـن أيكـــة
وصـــوت حادى العيش شـوقا لمرقد

التحليل :

تحدث الشاعر فى مستهل هذه القصيدة الأبيات (١ — ٥) عن نفسه حديثا غنائيا كشف خلالها جانبا من حياته فى اللهو حيث كان جامحا وغارقا فى طين مسراته أو اسيرا فى احضان جميلات ناعمات واسعات الاعين حلاوات القرب يجالسهن لسماع الموسيقى العذبة . ومن هذا الوصف الحى يخبرنا فى الأبيات (٦ — ١٣) كيفَ يتمنى ان يجد شيخا ينجيه من هذا النوع من الحياة الفاسدة ويمضى متسائلا من أين يكون له استاذ قد بلوذ بورده ليقيه الورد اهواله وانى يكون له استاذا وشيخا عارفا بعلوم الشريعة يعرف خفايا الأمور كى يطهر جسمه من الأدران والزائل انى يكون له شيخا يحول له ذنوبه الكثيرة ثوابا ، انى يكون له شيخا يرشده الى ما فيه الصواب ويفرج له الهموم والاحزان ، انه يقولْ — مع حسن الحظ — بعد ان جال وطاف طولا وعرضا قد وجد ضالته المنشودة فى شخص ابى العباس احمد التجانى . ثم وصف فى الأبيات (١٣ — ٢٣) حيث يعللَ الاسباب التى حدت به الى الانخراط فى سلكَ الطريقة التيجانية التى لخصها كالآتى : قال انه انتسب الى هذه الطريقة للشرف النسبى والدينى اللذين حاز بهما ابى العباس أحمد التجانى من :

١ — انتسابه الى السيدة فاطمة الزهراء بنت محمد عليه الصلاة والسلام .

٢ — كون ابى العباس أحمد التجانى عارفا بأسرار الحقائق الغيبية .

ومن اجل هذه الاعتبارات يؤكد ان شيخه لا يوجد مثله قطعا بين الشيوخ هكذا بعد ان اقر تمسكه بورد ابى العباس احمد التيجانى فى الأبيات (٢٣ — ٢٧) يتطرق الى تبرير الدوافع التى حدت به الى التمسك بالورد التجانى وذلك دون ان ينسى الخصائص التى خص الله بها لشيخه دون غيره من الشيوخ منها انتسابه الى رسول الله صلى الله عليهوسلم وكون الرسول نفسه قد اوحى الورد التجانى الى شيخه ابى العباس أحمد التجانى .

القسم التعليمى (العلوم اللسانية)

من انتاج مجخت كل كتابه القيم الذى (يقال ان الدافع الى نظمه يرجع الى كونه (مجخت كل) فى احد الأيام قد استعار من ابن عمته المشهور (بمورخج كمب) كتابا فى النحو غير ان هذا الأخير عابه بأن من العار ان يستعير ابن عالم مثله (مجخت كل) كتابا فى علم النحو بل يجب ان يؤلف كتابا بدل أن يستعيره هكذا لم يهدأ له البال الى ان ألف كتابه الذى استهله بقوله :

قال ابن موسى مكل اسم جده	مرتجيا عفو رحيم عبده
حمدا لربى الواضع الميزان	من قد نفى الشعر فى القرآن
سبحانه ربا حسابه سريع	مديد فضله على الخلق جميع
صلى وسلم على الندى	خليله الاعظم ناهيك العدى
محمد من سوء الدائرة	على الذين خالفوا مصائرة
وآله وصحبه والقافية	آثارهم من القرون الباقية

الى آخر هذه الأبيات التى تبلغ الى ثلاثمائة واربعة وثمانين بيتا انه قال :

حوى ثلاثمائة واربعا ثم ثمانين تعددت معا

والكتاب فى جملته يعالج علم العروض باعتبار البحور

والاوزان مبينا ادق قواعده ومصطلحاته انه قال :

نظما مان المشكلاة قاصدا قواعد العروض والمقاصدا

الا انه — رغم اهمية هذا الكتاب — الذى يتدارسه اليوم

الطلاب فى المجالس العلمية فى السنغال ازيد من نصف قرن ، فان

لسنة المطبعة لم تهضمه بعد (*)

❋ ❋ ❋

قسم الاعتذار والاستعطاف والانين والشكوى

ان شعر مجخت كل فى هذا الباب ، لبوتقة فولاذية صهر

فيها عصارة نفسه المتالمة فاذا شعره حزن عميق انين وشكوى

عبراء واستعطاف حنين الى الوطن (الدار) ثم استسلام للقدر

والقضاء فسرد ذكريات جارحة ، ومع كل ذلك فهو يفيض بالامل

ويابى الاذعان لليأس أو الخوف ، كيف لا وهو — كما يرى — لم

يقترف ما يستوجب العتاب . مهما يكن ان الظروف والاوضاع

الطارئة على حياته — كما سنرى — قد هيئا فى نفسه (الشاعر)

تجربة شعرية جديدة لم نكن نعهده منه قبلا وهذه التجربة هى :

جعل صدور ابياته عربية واعجازها (اولولفية) للغة المحلية ومن

شعره فى هذا الباب قصيدتيه اللتين قد نراهما كالآتى :

الاولـى :

يرجع سبب نظمها الى انه بعد خلع الملك لتجور كونى لاتيرجوب

سنة ١٨٨٢ ، من طرف المستعمرين الفرنسيين قام فئة ممن شكوا

بعدالة القاضى الشاعر ايام كان يصدر الاحكام للفصل فى القض[ايا]
فى بلاط الملك لتجور كونى لاتيرجوب ، قام اولئك بالتآمر ضد[ه]
وتأليب الناس عليه وذلك قصد تصفية الحساب معه . هذا ولما
بلغت هذه الشكاوى والاحتجاجات الى مسمع الحاكم الفرنسى
بـ (اندر) اصدر هذا الأخير قرارا بوضع الشاعر القاضى تحت
اقامة جبرية . هذا وقد تم استدعاء شاعرنا الى (اندر) وقد كا[ن]
يعتقد انه لن يمكث فى (اندر) طويلا بل سيرجع الى مسكنه قريبا
لذلك لما طال به الامد هناك بعيدا عن داره وعياله يائسا لكثرة
الرسائل التى وجهها الى الحاكم الفرنسى بدون جدوى طلب من
الشيخ ابن مقدار الابن (١٨٦٧ — ١٩٤٣) الذى كان قد انزل
القاضى الشاعر فى داره بحكم كونه (ابن مقداد) القاضى العرفى
والمترجم الوسيط بين سكان هذه المدينة (اندر) والسلطات
الفرنسية ، اذ انه (مجخت كل) طلب من ابن مقداد الابن بأن
يمهد له مقابلة مع الحاكم الفرنسى ولما تلقى الشاعر امرا بالمثول
امام الحاكم الفرنسى نظم القصيدة التى دون خلالها جل شكاويه .
هذا ويقال انه لما ترجم القصيدة للحاكم الفرنسى ، فانه اطلق
سراح الشاعر وسمح له بالرجوع الى مسكنه الذى كان يحن اليه
فى مطلع هذه القصيدة ليس هذا فحسب لكن قيل ايضا انه (الحاكم
الفرنسى) قد اهدى اليه بندقية واشياء أخرى متنوعة :
انه قال :

هـل من سـبيل الى دارى ومسـكنيه

(يولا دوخ ويمـه يوميفتل كنيـه) [1]

---

(١) كلامى موجه اليك يا من تطلق المدافع »

يا من ابـاد ملـوك الأرض قاطبـــة
(بسين رسياد ختشب ننى اك بكيه) (١)

راعت رعـودك فى البلـدان امدنـدة
(دبيك جارى نكى كابسـلى اكنيه) (٢)

فلا تنــازع فى البــارود فى همم
(نايادننب امنـكْ سـيقتك خليـه) (٣)

انى لمثلكْ شـأن ان يبـالى بى
(من جمنا كمجس وختل لواجليـه) (٤)

نلت ان القضــاء والقـدر قـد سـبقا
(ليلول نيلولَ من يلا دسـا اميـه) (٥)

مهلا فلا تصـغ للواشـين مستمعـا
(لاجل كخم لمـدادف اكلدى سـليه) (٦)

وسلْ سوى حاسـدى عنى وعن سـيرى
(ننك خمل ننتى بـل فتمك جكيـه) (٧)

---

(١) حتى أصبح بطونهم طعاما للضباع والنسور.

(٢) اسماء بنادق من صنع محلى .

(٣) وانت البارع فى التصويب الذى لا يخطأ هدف ولديه قوس وسهامه .

(٤) انا واجم لان من يرانى فلا بد ان يتساءلْ ما لهذا؟ .

(٥) فالكن ما يمكن ان يكون فالله هو وكيلى فى جميع الحالات والاوقات .

(٦) يجب حقا ان تسأل من يعرف ما كنت اقوم بها وما هو حالى .

(٧) عليك ان تعرف الناس فى هذا الزمان ولا تنسى ابدا اخلاقهم .

والملوك قلـــوب لاتقـــات بهـــم

(تسـين قلياد بورب خليه نى كبه)(١)

ما كنت فى الدهـــر الا كاتبـــا حكمـــا

(دافيتواء بيتاخل بـوب اك اتيـك)(٢)

بـلا خيـــولٌ ولا جيش واســـــلحة

(من شـــغلوول لـــدل ايتيم اك جليه)(٣)

لـــم اعتـــزالٌ بأرض قـــد ولـــدت بهـــا

(دمافداد اننت من تيـوول خـريه)(٤)

الا ذنب سريعـــا فىَ القــــــدوم لمـــن

(ددفَ دوخ لف خناتولى اكَ جليه)

ولا تقـــلْ لـــى بمـــاذا كنت تكتب لـــى

(تيمن دمن مى تيود لـــن طالبيـــه)(٦)

كتب الالـــف مـــرات اشـــتكى ضـــــررا

(تكنَ وخللكَ بينك لا تفلَ جنيـــه)(٧)

---

(١) وان قلوبهم هى ارباب القلوب واعمدتها .

(٢) كنت اتولى فقط تحرير اوسائلَ واصدار الاحكام .

(٣) لم اكن اهتم سوى بكتبى وصلواتى .

(٤) لست من الذين كانوا يقيدون ويكبلون الناس ولا من الذين كانوا يحضرون المعارك .

(٥) الذى لا يتكلم ولا يفعلُ شيئا ولا يهمه اى شىء سوى بسلطته وصلواته .

(٦) لم لا تكون انت ، انت وانا انا .

(٧) لم يخطر لك احد مع العلم ان هذه الرسالة هى الف الالف الرسالة التى سبق ان وجهتها اليك .

شكوت آلاف مرات الى رجل
(وخلم لل واج تيل بلمخم بخبه) (١)

ارسلت آلاف مرات له رسلا
(مغام بلبل تبل كن خمل دبيه) (٢)

وانتم منتهى الشاكى وغايته
(يولادوخ يوميفتل كنيه) (٣)

التحليل :

قد استهل الشاعر هذه القصيدة بالاستعطاف والانين والشكوى معربا ما يكنه صدره بسبب هذه المرحلة الجديدة الحزينة التى بدا يعيشها وبعبارة أخرى تعكس لنا ما يتمتع به من عواطف بعيدة الأثر فى مداعبة المشاعر والاحساسيس .

يقول للحاكم الفرنسى : يا من أباد ملوك الأرض جميعهم حتى اصبح ما فى بطونهم عيشا للضباع والنسور يا من يخاف الكل صولته ويا من هو بارع فى التصويب يا من يملك جميع أنواع البنادق والمدافع والسهام والسيوف ألا تأذن باطلاق سراحى وتفتح لى باب القدوم الى مسقط رأسى وانى يكون لمثلك شأنا ان يبالى بشخص ضعيف الحال مثلى ، مهما يكن اننى توكلت على الله واذعنت

---

(١) لم يقل لى سوى تمهل حتى اجد حيلة .

(٢) فلم يبرح يقول لى : حتى ، حتى ، حتى مع انها لا تعرف بالضبط معنى هذه (الحتاوات) .

(٣) اليك اوجه كلامى يا من تطلق المدافع .

للاهانة التى الحقت بى ، الا ان شخصا مثلك لا يجب ان يأخذ
الناس بما يقوله الوشاة بل عليه ان يعرف احوال اولئكَ الـذين
قد يأخذهم بما يفعلون ، بالاحرى الضعيف الفقير مثلى نعم عليه
ان يستفسر اخبارى وطبيعة اولئكَ الذين كانوا على علم بما كنت
اقوم بها ، لامن اولئكَ الحاسدين الذين يحسدونني او خصومى
كما يجب ان يعرفَ الناس وطبائعهم فى هذا الزمان دون ان ينسى
سيرهم وسلوكهم لا شكَ ان قلوب الملوك فى كلَ زمام هى ملـوك
القلوب واعمدتها . اما انا فلست سوى مجرد مسلم بسيط الحال
لم تكن وظيفتى سوى مجرد كاتب خاص للاتجور وقاضيا لدى بلاط
هذا الأخير ، وايضا ان اخبركَ اننى لم املكَ جيشا ولا سـلاحا
لم اكن اشغلَ بالى يومه سوى كتبى وصلواتى ، فلم اذن اصبحت
معزولا بعيدا عن الأرض التى ولدت بها علما اننى لم احضر حـربا
قط ولم اكن اطلاقا من أولئكَ الذين كانوا يكبلون الناس والابرياء
ويضعونهم معرضين على حر الشمس تعذيبا لهم : نعم كنت فقط
اهتم ببساطينى وصلواتى لكلَ هذا ارجو منك أن لاتقول لم اكتب
اليكَ هذه الرسائلَ اننى فىَ الحقيقة كتبت اليك آلاف الرســائل
الا ان الذين هم بقربك فهم لم يحيطوا بك علمـا بـذلك اننى لما
استفسرت منهم كان الجواب دوما : انتظر ، انتظر دون ان اعرف
بالضبط متى تنتهى مدة هذا الانتظار . مهما يكن فانتم منتهى املى
وغايتها القصوى فىَ هذه الشكاوى ولماذا يا ترى لا تؤذن سريعـا
باطلاق سراحى وتفتح لى باب الرجوع والعودة الى مسقط راسى
يا من تطلقَ البنــادقَ والمدافع .

الثانيـــة :

بعد وفاة الملك لتجور كونى لاتيرجوب بتاريخ ٢٦ اكتوبـــر سنة ١٨٨٦ ، راجت شائعات تقول بضرورة تعيين (باخان جوب) ملكا على كيور خلفا على أبيه ولما شاع هذا النباء بدات السلطات الاستعمارية تستنطق الأهالى وأخيرا تألب الوشاة على القــاضى مجخت كل والصقوا عليه هذه التهمة الواهية . هكذا سيق مـــن جديد للوقوف امام العدالة الاستعمارية الجائرة . ومن جـــديد طفق يبدى اسفه وحزنه وألمه ومن شعره فى هذا البـــاب هـــذه القصيدة التى نظمها لحاله من أجل الأكاذيب البـــاطلة والادعات الفارغة مبينا اتجاهه وموقفه فى الماضى والحاضر والمســتقبل انه قـــال :

يا حاجبـــا ساكنـــا حيث الأمـــير ســـكن

(وخلم توت فبورب تيب اك سبكن) (١)

يا أيهـــا المـــلك الحـــامى رعيتـــه

(خنـــا وخيفل واجى كيتـــوال فنن) (٢)

بطـب الــرأس والعينـــين يوعـــدنى

(كريك وخجى دكو دورل نفى تدنن) (٣)

هذا عـــلى رؤس الاشـــهاد حلفنـــى

(بجل سمى يف اكب خالس جلل موجن) (٤)

---

(١) لعمرك بلغ كلماتى الى الحاكم العصر (هكذا يسميه) .

(٢) الم يخطر ببالك ما نعانيه من صنوف الاضطهاد .

(٣) لاجل مقولات الصقت علينا هنا ونحن منها ابرياء .

(٤) أخذ منى أشياءا كثيرة منها المـــال والحجر وبقرة .

فقال لما اجلت دعـــواه باطلـــه

(بول موم لنكيرلى فى بقى موك لكون) (١)

بالله مـا اعلمـوا (لنكير) ذاك لا

(كمسيرخمنك (جاواد) موككون) (٢)

وقيـــدوا لـــى تلميـــذا بتعمتهـــم

(واتت تنيوول وتيفل سيربى مكوون) (٣)

بـل ظـل يدعـوهم للحكم فامتنعـوا

(تناك دوفليو دووات دياك لكون) (٤)

ولـم يـروه عـلى شىء بتهمتهـم

(تكن مسل نك ياجل واج يولفون) (٥)

مـا للـذى اذا دخلت الـدار سـائله

(لاجل (نخوربو) ميوخ دمل من فن) (٦)

فقلت ان القضـاء والقـدر قـد سبقـا

(ليلول نى لـول كيدف لول دمن) (٧)

---

(١) قال أن الذى سيتولى ردها اليك هو (لنكير) لانه هو الذى اكلها .

(٢) احلف بالله انهم لم يحيطوا الامر لـ (لنكير) ولا مدير الشرطة ، علما بأن (جاوا) هو الذى كان مكلفا بمهمة الوسيط بين الاهالى والسلطات الاستعمارية وان (موب) المساعد الايمن للتجور الملك المستبد قد ولى ولن يعود الى الابد .

(٣) لم يحلف ولم يدل بأقواله كما انهم رفضوا احضار الاشهاد الذين نعتوهم شهود عيان .

(٤) كما انهم يقولون له ، انك لا تدل هنا بآرائك ابدا لانك المختلس الحقيقى .

(٥) علما بأنه لم يسبق لاحد ان قال له السالب او السارق .

(٦) اسئل (نخوربوه) الذى كان يطلب منى المغادرة واجيبه الى ان ...

(٧) فليكن ما يمكن ان يكون فالله هو وكيلى فى كل الظروف رغم التهديدات .

لَئِن تهجرت حتى جئت شـيخ لونكـور
(كرحـق بورك مجس لول ميلم من)

بجانى ثم عـون شـاب لحيتـبه
(تناوليل فسـكر تخمن ياك وخـن) (٢)

به وذا مقتـربا لمن مشـتـهر
(تنا (ابرجورك) بنيتب نركتم يدفن) (٣)

يبعث الـى وفى نـادى ويوقفنـى
(تنـام نابا حنفـى فلـرن) (٤)

وهل أمير النصـارى كان يعـرفنى
(بمخمـل لمـى دفـ رن وله دون) (٥)

ام هل لـدى كون (باخانى) أمير الورى
(من جمنا فدكن (باخان) حمتك كن) (٦)

من اجل ذ (ميس كمب بوب) الـزمنى
(جـروم فك درم ييلب موكلكـون) (٧)

وكان (بنهـام) يوم الطـرد يحضـره
(تنـام دفتل لمى وخ من دليم خمن) (٨)

---

(١) مراعاة مع حق الملك ، قبلت ما لم يكن عسيرا على القيام بها .

(٢) كان يقول لى امض الى منزلك لانك الذى قلت كل شىء .

(٣) ويقول أن ابراهيم جور المشهور بالافك هو الذى اخبرنا النبأ مع امثاله .

(٤) يقول انا الذى قلت بان (باخان) بن لتجور هو الذى قد يعين ملكا على كبور هذا العالم .

(٥) حتى يخبرنى بما يفعله حالا أو مستقبلا .

(٦) أنا مندهش اذ لولا « باخان » لما عرفته قط .

(٧) يلزم على غرامة بمبلغ خمسين درهما كان قد اكله هو بنفسه .

(٨) يأمرونى باتباع أوامره عرفيا علما بان ليس هذا ما كنت اعرفه منه قبلا .

فجئت (ساكون) ذ احزن وذ افزع
(وخلْ لدلْ خنادخ واج توت جون) (١)

وليت عنهم لم اقبلْ على احد
(لمى كمى خمنْ ليحم موكنه كن) (٢)

بارى البرايا اله العرش موجدنا
(ناكوكْ مونى مسل كرمو نسكن) (٣)

لذلك انهى كلامى بالنداء له
(ويدولْ ويدولْ يوميمن كمن كمن) (٤)

فصار عودى الى قولى بجانبه
(وخلم توت فبورب تيب اك سبكن) (٥)

التحليل :

يعود الشاعر فى قصيدته هذه — بعد ان نجى من المؤامرة التى كان الحساد والحاقدون قد نسجوها حوله — الى انينه الذاتى محاولا التوفيق بين الهم والحزن التى نزلت عليه ثقيلا وبين ايمانه الصادق الذى لا يتزعزع وروحه القوى وفيها (شعره) نجده بعيدا الى كشف والقاء الضوء على حقيقة التآمر الذى حيك ضده .. قالْ ايها الحاجب الذى يسكن مع الملك الا تبلغ لى اليه

---

(١) لم يقلْ الا ان هذا الرجلْ ليس الذى كنا نعرفه .

(٢) الا الذى ما يكون يحصلْ بقولة كن .

(٣) هو الذى ينجينا لانه الذى اوجدنا .

(٤) يا الهى هلْ من منقذ .

(٥) بحياتك بلغ شكواى الى الملك و الحكم ! .

الشكواى وقل له اننا كرعاياه نعانى صنوفا من الاضطهاد من طرف
شخص يهددنا ليل نهار لأجل مقولات باطلة الصقها علنا كتهمة
خطيرة مع العلم باننا برءاء من تلك التهم الواهية، قل له كل هذا يحدث
هنا لكن لم يخبره احد بذلك ليس هذا فحسب انما اخذ منى بحضور
شهود عيان اشياءا كثيرة منها مبلغا من المال وحجرا .. الا انه
لما كشف النقاب عنه فانه بدأ يقول ويعلل ان كلما سبق ان اخذها
منى كان قد اعطاها للنكير لذا فان هذا الأخير هو الذى يجب ان
يرجعها اليك مع العلم والله شاهد أن لا علم لهذا الأخير ولا مدير
الشرطة هذا وبما أن (جاواد) الذى كان يقوم بدور الوسيط والذى
كان يعرف الجل فى هذه القضية قد انتهى عهده لذلك قال الى انه
يجب ان تعرف ان عهد (فرب) قد ولى ولن يرجع الى الابد .
يضاف الى كل هذا انهم قد قيدوا لى تلميذا بريئا وساقوه الى
السجن دون اى مبرر هذا ولما طلبت انا ضرورة محاكمته لطول
مكثه فى غياهيب السجن قالوا لى لا داعى لانك انت الذى سببت
كل هذه المشاكل . هنالك وليت عنهم ولم اقبل بعده وجهى سوى
الله الذى هو الخالق لبارئى النسم بقوله (كن فيكون) انه رب
العرش العظيم الذى ينجينا من الكروب انه القوى الذى لا يهزم
لعمرك ايها الحاجب الا تبلغ شكواى الى حاكم العصر .

عمر شاعرنا مجخت كل طويلا وخطى الشيب رأسه
نجنح خياله الى سجل ايام شبابه الحالم يقلب ويتأمل
صفحاته المليئة بذكريات خالده يستعيد
هواها ليبرد احشائه التى حرقتها فعلة الأيام الناكرة الا ان تحرجه

ليس الا مجرد سحابة صيف لا تلبث ان تزول من سماء ايمانه
الصادق الصافى الذى طالما حاول المتورطون تعكير صفوه .
وعلى الرغم من ذلك فانه يبقى دوما امام الصعاب والمؤامرات
المتلاحقة صخرا آصما ، ذلك كله لانه عظيم وجدير بان يحترم ومن
قصائده فى هذه الفترة القصيدة التالية :

لم انهمت بعد شب عبرة وبعد
اراقها كلمتا (سعدى) بمه وبمه (١)
اذ كلمتنى بتين الكلمتين بلا
بلا مزاح بدا لى اننى (بنمه) (٢)
وان حبل وصالى صار منصرما
أو واهنا خلقا تجديده (تنمه) (٣)
مالى اراني ان لامست غانية
عصر شبابى تقبل أو تقل (بيمه) (٤)
واليوم ان لامست خود بيدى لعبا
قاء ففت ثم نادت يا بى (سرمه) (٥)
وكل ناهدة الثديين تلحظنى
بعين سخط فتعلى صوتها (نومه) (٦)

---

(١) دعنى ولا تكلمنى .
(٢) تركنى .
(٣) لم اقدر عليه .
(٤) اذهب معى .
(٥) مست مزاحا .
(٦) لمست مزاحا .

وان تسل نجواب عندها (خمه) (١)

وان لموت طهت اود نوت ثالث

كاعب واعدتنى زورة عشقا

زمان شرخى ولما جئتها (نخمه) (٢)

لكن لشيب فى تودى وجمجمتى

خطا وخطا نعذراء النساء (نبمه) (٣)

الا ارعو لمن ولت شبيبته

زوادنت بمشيب معلم (هرمه)

ما كل ضيف كريم القوم حق به

قرى عليه وهذا شيبه (كنمه) (٤)

ناقره ان ترى ما عشت شادى من

هو الشفيع وكل قائل (تنمه) (٥)

من ذاته كل ذات لازمت عرضا

فى عشر شعرتها لو تفتدى (سفمه) (٦)

---

(١) لسه ادرى .

(٢) لم تخدعنى .

(٣) لم تعشق بى .

(٤) ضيفه .

(٥) مشغول عنى .

(٦) لا يهمنى فى شىء .

ـن كل حرم لـه قـدر يعمـره

من اى سـت وربى اننى (نرمـه) (١)

لاننـى كـل حـين ابتغـى ابـدا

اتيـان منـزلكم لكننى (ورمـه) (٢)

لو كان عنـدى جـواد الخيل اركبـه

ركبتـه اليـوم لكن كل ذا (امـه) (٣)

متى حبـانى رب العـرش عافيـة

زرناك ياخـل فاعلم اننى (نرمـه) (٤)

انى ازورك بعـد اليـوم مسـرعة

فياحبيبـا (لسـعدى) اننى (مرمه) (٥)

* * *

---

(١) لم اكـتب »

(٢) لم اخـن »

(٣) لم اجـد »

(٤) لم اكـذب »

(٥) لم اغضـب »

الحاج عبد الله انياس (١٨٤٦ — ١٩٢٢)

هو عبد الله انياس بن محمد ، ولد فى مدينة انياسين بناحية (بغلى) فى (جلفة) تلقى القرآن وعلوم الشريعة من يد الشيخ (مختار ماجاى) ثم اندفع بعد ذلك الى الآفاق يتلمذ العلم حتى استقام به المقام فى مدينة (كولخ) سكن منطقة (طيبة) ومنذ وصوله الى هذه المدينة كان يمارس التدريس وكان طلاب المعرفة يفدون اليه كل يوم للاستفادة فى عمله وبحكم هذه العلاقات الثقافية مع طلابه وأصدقائه راجت شائعات مفادها انه يتهيأ للقيام بجهاد فى سبيل الله ضد نظام السلطات الفرنسية هو وبن (مابه جخ) (سيرمت) هذا ولما علما ان المستعمرين ينصبون لهما فخوخا ، لجئا الى أرض غامبيا لجوئا سياسيا . وبعد ان امضيا فيها فترة رجعا الى ارض الوطن (السنغال) ليستأنف (هو) سيرته فى نشر العلم ولم يحد عنها حتى تاريخ وفاته غضون سنة ١٩٢٢ .

آثاره الادبية :

رغم امتداد عمر الحاج عبد الله انياس وثقافته الواسعة لم نعرف له سوى كتابا واحد سماه (تنبيه الناس على شقاوة ناقضى بيعة ابى العباس) وهو كتاب يدافع عن الطريقة التيجانية ومؤسسها . يوجد فى نهاية الكتاب قصيدة همزية للشاعر لخص خلالها محتويات الكتاب وفى مقدمة هذا الكتاب يقول الشاعر :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى حكم على ناقض العهد بالظلم والضلال فى الدنيا والآخرة بالشقاوة والحشر والبلاء

والمخلفة والصلاة والسلام على من نسخ الشريعة بشريعة السلام محمد وآله وصحبه الهداة الى الرشد والنجاة وبعد .

فيقول الفقير العبيد الى رحمة مولاه الغنى الحميد الحاج عبد الله انياس السيد بن محمد لايزال ربه الكريم برقبته الى مقلم الاحمد الجلفى بلدا والبلغى ناحية والنسين مدينة والمالكى مذهبا والتجانى طريقة انى لما رايت جل اهل هذه البلاد غرهم الداعون الدالون على غير المراد فاغتروا بذلك حتى نقضوا عهد سيد الاولياء أحمد بن محمد التيجانى رضى الله عنه ، بل نقضوا عهد سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم وقدره ومقداره العظيم لديه وضعت هذا الكتاب ناصحا لهم وأخذا لحجرهم ليصلح الله بالهم هذا مع علمى بانى لست أهلا للتاليف لا ولا من أهل الانشاء والتصنيف لكونى لست من أهل العلم والدراية ولا من أهل النحو ومن فى صناعة الرواية وما حملنى على هذا الاشدة حتى فى هذا الجناب ورغبتى فيهم رغبة تامة بلا التفات . يا مطالع كتابنا ناصح واسمع لنا واقبل عذرنا لانى اعتذرت وسبب وضعى ذكرت ومن اقام العذر لنفسه سقط عنه اللوم .. اما الابيات التى اختتم بها الكتاب فهى كالآتى :

قد اشرقت شمس السماوقت الضحى فتنورت آناتها بضياء

ورمت دجى ليل بهيم دجنة وتراكمت ظلماته بوراء

حتى راى كل الورى وهنانه لما امتدت انواره ببهاء

خرجت به جيداء وهنانـــــة تنسى بها عن اهلك الكـرماء

يسبى الرجال كما تتيم حصورهم فغدا يهيم كشارب الصهبـاء

ولراقب ترمى بسهم لحاظهـا فوق الجبال فينهـوى للقـاء

ريم يصيد الاسد فى آجامهـا من لحظها فاعجب بصيد الظباء

وخلصت من صيد الظباء بشيخنا شيخ الشيوخ وبدورهم وبهاء

بل اشرقت شمس الهدى من فاســكم

وبنـــورها تهـدى نجوم السـماء

وبعين ماض كان مبدء شروقها ويزيد نور جمـالها بجـلاء

جالت على فلك المعالى والعلى ولفاس فضل زوالهـا بعنـاء

يا قوتة ما مثلها من جوهـر برزت لحضرة مالك النعمـاء

ظفـر الولى بنيلها استـاذنا من جـده من ربـه بعطـاء

هو أحمد التيجانى نجل محمد نجـلا لمختـار وذاك رداء

نجل لاحمد سيد عن سـيد اولئك الاشراف هـم الابـاء

هو من اناس لا نجيب جليسهم بل نال ذا بمـراده غنـاء

وكمال ارث من رسول جـده عين الكمال كمال عين بهـاء

واقامة رب الورى بعنـاية متوسطا أو برزخ الكبـراء

شيخ المشايخ مكمل ومقطب وممد كل موصـل لعـلاء

لو قام قرب مقامه اقطـابهم لتذيبهم انـواره كثـواء

هو مبرق هو مرعد هو ممطـر ماء الفتوح قلوب أهل غنـاء

مد الرجال وسر ذات جـلاله مـن كل اوتاهم نجبـاء

وسـقاهم بزلافة الانوار قـل بنواله نالوا العـلا وصفـاء

وخاطبوا رجال غيب انهم مولاهم مولاهم مـولى نعيم بقـاء

ولسرة بعض الرجال معربد يوما ويومـا نير الاعـداء

ودوى به اللـه من العمـر فتنورت ابصارهم بضيـاء

يارب فاكشف بدا ناظم مدحه ... ورذائـل بقـواده بـدواء
واكشف له كل الحجاببشيخه ... حتى يرى ملكوت كل سماء
وافض عليه بحار علم حقيقة ... ومعـارف لدنيـة وعـلاء
باب النبى وباب حضرة ربنـا ... باب الولاية باب اهل سناء
وبحكم امان المستجير لكربـه ... جودا برؤية شخصكم بلقاء
نجم البرية مرشـد لهـداية ... بل بدرهم بل شمسهم بجلاء
نال الخلافة شيخنا عن ربـه ... قبل الوجود وطلسم العلماء
قدامه فوق الرقاب كل مقطب ... مـن ادم للنفخ ذا بغنـاء
لا شـك فى تخليفه عن ربـه ... فى الملك والملكوت والرقبـاء
متفقـد لمريده من حيث كـا ... ن بمشرق أو مغرب وهـواء
ولنحوه القى الرجـال ازمـة ... ليذيقهم من ربـه لقنـاء
بفيوض اسرار وانوار صـفت ... وحقائق ودقائق الاشيـاء
وتظن باب جناب شيخى محشرا ... من طالب اوراده وبهـاء
ورث الولاية كابر عن كابـر ... حتى انتهت للدرة البيضـاء
هو مصدر والاوليـاء رفاقـه ... ونصبت حالى منه بالاغتنـاء
ياليت قومى يعلمون بمالهـا ... ذا الشيخ مع أصحابه الكرماء
لا ينقضـون عهـده بزيارة ... أو غيرها سقطوا بهـا لملاء
اقسمت ما فى الاولياء كمثلـه ... هم انجم هو شمسهم بسماء
ومقامه المكتوم عن كل الورى ... لا اننى محمـد العـلاء
فى الحشر يعلو منبرا من نورقد ... سى وهوب كل ما به ومنـاء
فبذا لمنكره وناقض عهـده ... سوء العذاب ندامه بـولاء
فهناك يعرف جاهه بين الورى ... ذاك المقام بخصه بقضاء
وعن الشيوخ طريقنا كمدينـة ... تنفى الخبيث لخبثه بشـقاء
ولقـد اقول مقالة بطريقـة ... لا عطر بعد عروسه بهقـاء

وطريقة مثل الحنفية هاديا ... لا ورد بعد طريقة بجلاء
راجح (رماح) بجور علم حقيقة ... فتجد به لا ورد مثل ضحاء
ان كان فى القلب ظلام الاثم ... فاقصد الى اوراده باداء
او كنت ذا ظمأ بسر الهنا ... فاشرب مفجر ورده بغناء
فتنال أقصى مطلب ومقاصد ... من فيض كامل بحره بعلاء
فورب هذا الورد عد بامائه ... من والدى شيخى الهمام رداء
قطب الزمان خليفة عن شيخه ... بعلومه وبزهده وصفاء
محى الطريقة والحقيقة علمه ... عدد الدروس وهيكل النجباء
عبد للاله وعابد لرضائه ... معطى الرخى ومشكد الضراء
سعدت به الاجداد والابناء ... بناء والاحباب بالغراء
ما من ولى فى الزمان ولو علا ... الاعلاه بربة وسناء
بيمينه بحر الندى وشماله ... يحر الردى للحب والاعداء
حليت جيد قصيدة بفرائد الا ... وصاف للشيخ العظيم اصاء
يا شيخنا قطب الانام وغيثهم ... يا برزخا وامام أصل داء
قلب نحاس عوالمي ذهبا ثمنا خالصا أو جوهر اكمياء
ولتجعلن عوالمي مملوئة ... بالنور والعرفان والاولاء
وانض على عبد ضعيف جاهل ... بحر العلوم يقوده لفناء
مولاى مطلبنا فمنك ولاية ... جذبا بلا شرط ونيل صفاء
مولاى هل من جذب مولاى هل ... من وصلة تصيرنى لبقاء
وتجليات صفات ذات جلاله ... قد اقبلت محفوفة بعناء
حتى ارى عين المعارف كلها ... وشهود كنه جلال عين بهاء
ويلوذ كعب مديحكم بجنابكم ... فاشفع طريد ذنوبه وعناء
ولكونه رب الخلافة مكملا ... قد جئت كامل بحره بثناء
لاحوز منه مكانة وسعادة ... وكرامة من فيضه ورضاء

حسن الختام رجونه بمرادنــا   بالبروخ المختوم الكبراء
سحب الصلاة مع السلام على الــــذى
ختم الرســـالة خاتم الرســـلاء
والال والاصحب ما طيرشدى   فوق الغصون بشجرة بغنساء

* * *

الحاج ماجور (كمب) سيسى حوالى
(١٨٥١ — ١٩٠٦)

نشـــأته :

ولد الحاج ماجور سيسى فى مدينة (اندر) خلال سنة ١٨٥١ من ابكان يزاول التجارة كمهنة ويدعى (كمب سيسى ، وام تدعى (تك جم) نشأ وترعرع بين احضان امه البارة ، تلقى مبـــادىء العلوم الدينية على ايدى مشاهير العلمـــاء الذين كانت الدوائـــر العلمية والثقافية تموج بهم فى ذلك الوقت . الا ان ولعه وشـــغفه وجريه وراء العلم قد ساقه الى الشنقيط (مورتانيا) حيث كان تد قضى فترة من شبابه وخالط خلالها بعرب البربر ونهل من منابـــع اللغة العربية قابضا بزمامها قادرا على التصرف فى أساليبها كيف شاء غير ان همته المتميزة — رغم ثقافته الواسعة — لم تكن تتجه الى مباشرة مهنة التدريس واستغلال موهبته العلمية المتيقظة انما انصرف الى مبـــاشرة المهنـــة التى كان الوالد يزاولهـــا الا وهى التجـــارة .

لسنا ندرى بالتأكيد الاسباب الجوهرية التى دفعته الى اتخاذ مثل هذا القرار الذى قلما اتخذه امثاله ، الا انه يظهر انه (الشاعر) كان يريد لنفسه حياة هادئة لا تعكر صفوها الفقر وعدم الاستقرار من الناحية المادية بحكم ان المثل يقول : (ان لا مجد فى الدنيا لمن قلّ ماله) .

مهما يكن لقد دلتنا اخباره انه لم يعرف طوال حياته معاكسات الدهر من الناحية الاقتصادية حتى وافته المنية اثر مرض قصير اصابه اثناء رحلة تجارية كان يقوم بها فى ربوع (موت) غضون سنة ١٩٠٧ وذلك عن سن يناهز اثنين وخمسين علما هذا وقبل التحاقه بالرفيق الأعلى كان قد ادى فريضة الحج الى بيت الله الحرام .

آثاره الادبية :

لماجور سيسى قصائد عديدة وتوسلات شعرية مختلفة تمتاز كلها بالروعة والجودة والعمق فى التحليل . الا ان اشهر واحسن قصائده هى :

اولا : بائيته التى استهلها بقوله :

تموج معاج الوميض قلوب	بذى الفرد يبدو تارة ويغيب
تبوح عن السود تدب كأنما	زواحف من جون لهن دبيب
حرتها الصباجنح الظلام فاينمت	فقلت بلاط الجسر حيث تصوب

هكذا الى آخر هذه القصيدة التى تبلغ ابياتها الى ثلاثة وتسعين بيتا .

ثانيا : وله ايضا كتاب ضخم فى الفقه الاسلامى يحتوى هذا الكتاب على ثلاثمائة صفحة تحت اسم (هبة الكريم المالك فى اصلاح الطهارة) وقد نسخ هذا الكتاب عالم شنقيطى (موريتانى) .

ثالثا : ميميته الشهيرة التى تتسم بطابع العمق فى المعانى والعناية اللفظية وفيها اظهر شاعرنا ببراعته ومهارته الفذة فى قرض الشعر وهى بدون منازع (القصيدة) من اروع ما قيل فى الشعر العربى على الاطلاق والقصيدة برمتها باستثناء الغزل فهى تتناول السيرة النبوية انه قال :

بديع مطلعكم يا جيرة العلم ثنى براقته نار على العلم

ان جئت سلعا فسل عن ريم ريمة هل

بالبان مذ بان عنى أو بذى سلم

احبة ارخو يوم الوداع على خدى خطا بلارق ولا قلم

صدوا فلم يبق لى جلد ولا جلد

والغصن يدوى لفقد البارد النسم

وهددوا لى الجوى ركنا ثقفت به مذ هددونى بسيف من بعادهم

وجردونى النوى ذيل الفراق ولم ابال ان جردون من بعادهم

جدوا الوسائل ان جدوا الرحيل بهم

ولا رسائل تجدى بعد جدهم

فى القلب نار الهوى والشوق يوقدها

لا غروان تلقت نفسى من الضرم

من صبره صون الدموع فقد

انقذت دمعى ولا تستطيع منع دمى

من جاد بالعين لم يبخل بأدمعها

ان ضنت النفس نفس الواغل البرم

قالوا جنيت على نفس سمحت بهـا
تبرعا قلت لكن فى سـبيلهم

غفرت نفسى لهم لوانهم علموا
وما سيجدى سوى خز على وضم

وسـائل ما الهوى العذرى قلت لـه
أولى بـه ساكنوا الجرداء من اضم

ان الهـوى لهـوان مايقيم بـه
نكس وترضاه نفس السادة الخدم

اشكوا الهـوى والهوى داء بليت بـه
لمـد نفسى لست ارجو البرء من سقم

فدينته بحياتى من شغفت بـه
من متلقى وهو مشغوف بسفك دم

قد كنت اخشى ظنى والحب منكتم
فكيف والحب باد غير منكتم

قالوا تحن الى وصل فقلت لهم
ان كان جودا به بالوصل من كرم

ريح الصباريح من شط المزاربه
فقد يرود الكرى ذو السلم للحلم

فمن اقـربهم عينى فان لـه
عينى وابذل روحى فى لقـائهم

ما أورد القلب نار لاخمود لها
الا اتباع الهوى المفضى الى الندم

من عز مطلبه هانت مشـقته
فالعز بعد اقتحام الهول فى الظلم

لقد عصيت قديم العذل من صغر
وما أطعت جديد النصح فى هرم

ولو اطعت ابا نعمان حين دعا
ما كنت ادعو حسان فى الذمم

ان عدت اصغى نصيحـا من أخى ثقـة
فيهم فقـالوا طلبت النفخ فى الفحم

جزيت يا عاذلى فى كلمة وصلت
نصيحة ذكـرها يحلو بكل فم

اطعت ليلى بنصح طاب طارقه
من طوله بت ارعى النجم لم انم

بشرتنى بسـلو المستهام بهم
فانعم فانت المطاع النافذ الكلم

يا سادتى سوف اسلوكم اذا حشـرت
بالى العظام وعـاد الشـيب كالحمم

رثوا لحالى وقالوا من تحننهم تسل فقلت عن الاوطان والحشم

دع ما يريب الى مالا يريب فلا
يسعى الأريب الى الأهواء والتهم

قالوا تسل قلت قد ضنى الفواد بهم
قالوا أطر قلت صبرا الهيم عن شبم

تستمطر السحب جفنى كلها خلبت
بروقها فتجود العين بالديم

نثر الحديث ونثر الدمع فى ملاء مما يدل على الادلاء والالم

ما سابق العذل جارى ادمع وجرى
الا كما مثل ما فى العيش والنعم

حكم الفراق بفتوى البين فرقتنا ما انت بالحكم فى الجيران بالحكم

رضيت بالصرم اذ عزت نفوسهم
عن وصل متصف بالذل متسم

يستوجب البين شكرا لا اقوم به
لأن آخره بدء لوصلهم

يخاف من صلتى لبث المرير كما اخاف لحظ عيون العين فى الخيم

يحمون فى الحل جارا عن أخى قرة
ما بالهم يقتلون الجار فى الحرم

تجلدى واشتياقى لوعتى تعبى للهجر والحل والادلاء والهم

عفت عيونى فلا جوزاء تخيلنى الا عيون ظباء البان والعلم

زاحمت من كل قلبى فى محبتهم حتى ظفرت بحق من وصالهم

قالوا حديث هوى فى الوصل زاحمنا
والرزق بالحظ ليس الرزق بالقسم

من غاص بحر الهوى يبغى جواهره

ماذا التجلد ماذا الصبر فاستقم

ويا امين على قلب فجئت به
انى احتسبت فؤادا ضاع عند أم

لو كنت ابدى الذى لاقيت من الم

الى الاعادى رثوا ثم لم الم

قد دق حبى عن شكوى يذيع نعم

وجل عنى اخفاء مكتتم

يا ساكن القلب لا تعبأ بلوعته

افديك من ساكن فى القلب محتكم

صل زراقم واهجر اصرم جروته

وصد واسل وجب اعب وبن ردم

الى متى حمام الايك تنجدنى
على البكاء بدمع غير منسجم

كم بين نائحة ثكلى وساجعة
مريرة العين لم تفقد ولم تئم

غادرت بيت اصطبار لا مقام به
انا الحطيم فركنى غير ملتزم

فانت جواد المعادن والبيان اذا
كرت جياد بديعى دون شأوهم

وكل بيت وان حل البديع به
وجوده دون خير الخلق كالعدم

محمد المصطفى المختار طه بن عبد الله خير قريش لب لبهم

عين النعيم نعيم العين رؤيته
يوم التغابن تكفى زلة القدم

من الكريم أتى وصف الكريم الى
عبد الكريم فكنا خالص الكلم

امنت من كل ما يخشى عواقبه
ياكاشف الغم بن الكاشف الغمم

اذا تبسم فى الليل البهيم فما
ادرى ابرق بدا أو حسن مبتسم

ما اورد الجورو ما الدر العظيم له

افصاح قس لدى نطق له بفم

هم بالجمال الذى من بعض جملتـــــه

جمــال كـل الـورى الا فـلا تهم

لو لم يكن ســيد الكونين ما ظهـــرت

له الفضيلة قبـل اللـــوح والقلـــم

كانت نبووته اذ لا نبووتهـم
وهم ختام فهـذا غاية العظم

نور تنقل والرحمان حافظـــه
من صالب طاهر فى طاهر الرحم

ابوه آدم اوصى شيث معتنيـا
ان لايزال مصونا فى حصانهم

فلم يزل شرف يدنيه من شرف
منه لا شرف بيت من قريشهم

ياليلة اسفرت عن يوم مولـده
ماذا جلبت من الخيرات والنعم

فقم لمـولده الســامى الشريف وكـن

مستصحبا احســن الآداب واحتـرم

قد شرف الحرم المكى مولـده
وقبره طيبة الغراء من حـرم

كم آية ظهرت من قبل مولـده
وعند مولـده تبنى عن العظم

اخبار حساده أهل الكتاب به
مع الهواتف جهرا فى شعابهم

والفيل احجم والحبشان ترجمهم
طيرا ابابيل ترميهم لكيـدهم

وقد حمى الجـن شـهب عن مقـاعدهم

فـلا رئى من ينـاجى نارايهـم

قصور قيصر قد لاحتوما قربت
من نوره فرآها ساكنوا الحرم

غاضت ســماوات اذ غارت بحـيرتهم

والنـار لم تتقـد مـن بيت نارهـم

وصرح فارس لما جاء جرلـه
مهـابه وهو يرمى لانقراضهم

هكذا الى آخر هذه القصيدة التى تبلغ ابياتهـا الى مائة وأربعة وثلاثين بيتـا .

* * *

الحاج مالك سه (١٨٥٤ — ١٩٢٢)

حيـــاته :

ولد الحاج مالك سه فى قرية (غاى) مقاطعة (دغن) سنة ١٨٥٤ موطن أمه واخواله من جهة الأم من ابوين هما : عثمان سه وفاود ولى وكلاهما ينتميان الى أسرة فلانية استقرت فى جلف منذ امد طويل . مات ابوه خلال سنة ١٨٥٣ وهو لم ير نور الحيـاة بعد ، نشأ تحت رعاية خاله (جيرن مالك سه) ومنه تلقى أيضـا القرآن الكريم ومبادىء العلم وذلك قبل توجهه الى سين (جلف) قرب (سجت) رجع الى (غاى) مسقط رأسه ليتلمذ لدى الشيخ (عبد يتى) حيث حضر جلسات هذا الاخير وأخذ منه الكثير بفضل ذكائه المتوقد وولعه فى تحصيل العلم وفى الثامنة عشر من عمـره ، وبعد ان اطلع على اسرار القرآن الكريم اتجه شغفه الى عـلم التوحيد والفقه وفى هذه الاثناء بالذات أخذ الورد التيجانى من خاله (الفاهم مرو) الذى أخذه بدوره من الحـاج عمر الفوتى . تلقى علوم الشريعة فى (بقل) وان جريه وراء العلم قد ساقه الى كل من (كركد) و (طيبة) ثم (اندر) حيث درس فى بحـر السنتين النحو والأدب العربى . الا انه بارحه من جـديد الى (لوغـا) و (سكل) ثم (باكل) حيث انهى الجزء الأول والثانى من كتـاب الشيخ الخليل . بعده سافر الى موريتنيا (شنقيط) ونزل لـدى محمد على لكنه رجع الى السنغال بعد اشهر ثم ذهب الى (وكى) لدى صديقه (بل انجاى) ثم الى (كربا سين) ثم الى (كك) .

هكذا كان يجوب البلاد طولا وعرضا ينشد ضالته حتى استقامت له ثقافة عربية قوامها الفقه والنحو واللغة والادب العربى والعروض والبيان .

وفى الثالثة والثلاثين من عمره ١٨٨٦ ميلادية الموافق ١٢٠٦ هجرية حج الى بيت الله الحرام لاشباع رغبته التى يوضحها فى هذا البيت :

فكيف يطيب العمران دمت هاهنا
وهنا الذى لولاه ضاع سبيل

عاد الحاج مالك سه من الديار المقدسة عن طريق الاسكندرية (مصر) واقام فيه بعض الوقت ، هذا وعند رجوعه الى السنغال كان قد استقر فى مدينة (اندر) عدة سنوات للتدريس فيها ، لكن ما لبث ان غادرها الى (كيور) مارا بجلف (وال) هذا وقبل ان يستقر بصفة نهائية فى مدينة (تيواوون) سنة ١٩٠٢ قضى سبع سنوات فى (جارد) القريبة من مدينة (كل) . ومعلوم ان الحاج مالك سه كان قد اصيب فى بصره فى آواخر عمره ، الا ان ضياع بصره لم يكن ابدا حجر عثرة فى سبيل قيامه بالنظم والتاليف ، هذا وقد ثبت ان معظم مؤلفاته كان قد املاها فى هذه الفترة لقد وافته المنية نهار الثلاثاء الموافق ٢٩ يوليوز ١٩٢٢ فى مدينة (تيواوون) حيث لا يزال قبره محجة للزوار الى يومنا هذا .

* * *

آثارة الأدبيـــة :

للحاج مالك سه ديوان شعر كبير طبع للمرة الأولى والأخيرة سنة ١٩١٢ بالمطبعة الأهليــة نهج الديوان رقم ٥ فى الجمهورية التونسية وهو ديوان يحتوى ببعض الخطب التى كان يلقيها الشيخ الحاج مالك سه فى العيدين ثم اشهر قصائده التى منها : قنطـرة المريد ، ونهاية الامانى ونعمة العافى الجانى وفاكهة الطلاب واحدى الحسنيين ودر اليتيم وخلاص الذهب فى سيرة خير العـرب وهذه القصيدة الأخيرة تبلغ ابياتها الى حوالى ٨٧١ بيتا موزعة عـلى ثلاثين فصلا ، وخلاص الذهب — فى نظرنا — هو أهم انجـازات الحاج مالك سه الشعرية .

شـــهرته :

للحاج مالك سه شهرة واسعة فى السنغال والبلدان المجاورة، انه اكتسب هذه الشهرة من شخصيته الدينية المحترمة ومن ثقافته الواسعة هذا فضلا عن أن له الفضل الكبير فى نشر الطريقة التيجانية لدى الديار السنغالية والاقطار المجاورة .

اغراض شـــعره :

لقد قسمنا شعر الحاج مالك سه الى لأقسام التالية :

١ — القسم الغزلى والوصفى :

رغم اننا اوجدنا لهذين النوعين من شعره قسما خاصـــا يخول لنا الوقوف عليهما مفصلا فانه (الحاج مالك سه) لم يفـرد

لها بابا مستقلا بذاتيهما انما هى توطئات للدخول الى موضوعاته
الشعرية المتشعبة .

٢ — القسم النقلى والاخبارى :

يضم ما نظمه الشيخ الحاج مالك سه فى السيرة النبوية
العطرة بما فى ذلك اهل بيته وصحابته الكرام (الرسوليات) فابى
العباس احمد التيجانى مؤسس الطريقة التيجانية (التيجانيات) .

٣ — القسم التعليمى (المعرفى) :

يضم ما نظمه الشيخ الشاعر حول العروض والقافية .

٤ — الزهديات :

نجد فيها تبراءة من الدنيا وزخرفها وجنوحه الى المثل الاعلى
وتوحيد ربه فضلا عن ارشادات وبعض آرائه التوجيهية واحكامه
الصـــائبة .

١ — القسم الغزلى والوصفى

غزله بالجملة تقليد لا يخرج عن نطاق المألوف فى الشـــعر
العربى ، انه يتميز بذكر أماكن ومنازل مهجورة ثم تعلق بالحبيبة
شـوقا وحنينـا أو وقوف على بقـــايا اطـــلال واذراف دموع
عليها لتجديد سابق عهود الود والوفاء مع الاحبة والاخلاء أو انه
استعطاف أو مناجاة أو بيان حال المرضى بالحب أو سرد ذكريات
بذكر احيائه من جديد ، فهو بالتالى قلب مشغول وجفن ساهر أو
تعبيرات مركزة فى أسلوب رصين أو تحليل عميق يقـوده العقل
النافذ أو انه نغم موسيقى ملتحم يناسب جو القصيدة كلها انه قال :

الا يادعـد ويحـك نبئينـى بذكر البان تهتـان العيـون

اف بـين حبـا لك ام بـين لعشـاق برامة خبـرينى

قفى نبكى الاحبة كى نـداوى ضنى فينـا باجراء شـئون

الا ماتا تلـين بكى قلبـى بنـار الحب كيا غير هـون

تعيرين الهـوى فى كل يـوم مدى تفرى الفؤاد مـع الوتين

دعى عنك التخنـج ذات دل به يزداد قلبى مـن فتـون

وناجينى بسـر غـير فـاش وكـونى بالمعـاهد ذكـرينى

منازل قد عهدت بهـا بسـلع وكاظمة جنـانا للقطـين

عهدت بها وكنت رخى بـال أحاديث من حديث ذى الشجون

نداما بدور نـيرات . . . . يقر العين خـدن من تنـين

وصرعى صرقـد كنـا نيامـا فما يـتطـان فى داجى جنـون

أما وصفه وان كان من الطف شعره وارقه نسما فليس فيـه كذلك أى جديد من حيث بناء القصيدة وسبك الابيات ، ان وصفـه يضمن دوما وصف الجواد وصف سرعته فهو وصف يتميز بالجملة بدقة الملاحظة وقدرة خارقة فى خلق الاجواء الفصيحة وفى تجسيد وتمثيل الحركات بل انما هو احساس قوى يصدر من مخيلة خصبة صقلتها الايام والتجارب والاسفار . اما تعقيده فى التركيب وعنائه فى اختيار الكلمات والمفردات الغربية — ربما — يرجع الى حاجـة نفسية دقيقة أو انه تقليد لبنية القصيدة العربية . ومعلوم ان هذه الظاهرة هى التى كانت تطغى على الأدب العربى فى العصر العباسى الثانى (عصر الانحطاط والجمود) استمع اليه وهو يصف جواده الخيالى الذى امتطى صهوته الى الديار المقدسة .

غليظ الشوى عنس نجيب عذافر رقيـق تليل والتليل طويـل
له عسلان السيد تبغيل هقلة يكون لها زر القنيص جفـول
ويجعل ميلا مثل شبر يجوبه خنوق له وقت العناء نميل
له ايطلا جاب وحيزوم بنيـة يرى لك برطيلا مداه يطـول
ان اخفافه لاقت صخورا تفلها ويخـرج منهـا فادح وقليـل
يعوم بحار الال عوم مواخـر تساعفها الأرباح حيث تميـل
تراه أمام الناجيـات مبـاريا أعاصير صيف للجبـال تميـل
ويرمى غيـوث البيـد عيني جسيسـة تـراقب مصطـاد خفـاء تلـول
أمون هيـان ما عراه سـآمة بمرطبه عيد الطيـور فيـول
منيخا لباب الله والآى والهدى محط أمير الوحى وهو الرسول

التحليـل :

يحدثنا الشيخ الشاعر فى هذا المقطع من قصيدته اللاميـة الطويلة التى استهلها بقوله : (لقد هاج قلبى) يحدثنا بجـواده الخيالى السريع الذى كان قد امتطى صهوته الى الديار المقدسـة ذلك الجواد الخيالى الذى وصفه بأنه مسن الا أن سنواته لم تأثر فى قوة بنيته الضخمة ، يقول انه (الجواد) واسع الصـدر طويل العنق ضامر الخاصرتين صبور لا يعتريه سئم فى عدوه السريـع مهما بعدت الشقة ، انه خفيف فى جريه الا انه لا يستقيم فى حركاته وانه فى حالة الجرى شبيه بسرحان الذئب فى عدوه الشـديد أو قل انه شبيه بفتى نعامة يطارده القناصة بل انـه أسرع من كل أولئك لانه يقطع مسافة الميل الواحد كمن يقطع البعد الفاصل بين الشبرين حقيقـة انه لجواد مقـدام لذا لما يلحقه التعب ويترخى

اعصابه اثناء تنقلاته فان حوافره ان لاقت أو وقعت على صخراصم فانها تشقه ويخرج منه الاقداح والشرر وانك لما تراه فى الميـدان وهو يقاوم أعاصير الصيف الهوجاء التى تستطيع أن تميل الجبال الشامخة الضخمة وأنت لما تراه أمام الركب الوهمى فكانه يبـارى النوق ويريد أن يصل الى الهدف قبلها . هذا ورغم شـدة جريه وسرعته الفائقة فهو أثناها يرمى نظراته الى كل الجهات بشـكل لا يغفل حتى أخفى الحركات مهما تعددت مصادرها ، ان عيـونه أثناء تنقلاته تشبه عيون متجسس أو أنه عندما ينطلق مع النـوق يكون شبيها بمن يعوم على السراب أو انه شبيه بالغائص الذى يمخر عباب البحار . هكذا فان وصفه يحتاج الى التأمل والدرس وتدقيق النظر من قبل القارىء والا يسـتحيل ادراك ما يقوله أو تذوقـه .

٢ — القسـم الرثائى

رثاء الحاج مالك سه بالجملة عاطفة هائجة يقودها العقـل المفكر والفكر الثاقب أو انه صرخة الم ، أو انه دمعة كاوية من وحى اللوعة والأخوة الصادقة أو انه افكار تفوح منها رائحـة الـدين والتدين والايمان الصادق أو ان شئت قلت انه تذكر أولئك الذين غادروا هذه الدنيا الفانية ، أو انه محاولة لتغطية أهوال المـوت وما بعده ، بذكر مناقب الفقيد وتعظيم شمائله والتغنى به . انـه قال يرثى خاله (الفاهم ميرو) :

ان انتقا الدهر اهل الخير والخبـر

يدري فناء الدنـا يافـوز منجـزر

ومن يكن راقبا بالموت لاق به ... ادامة الجوع ضمت مزلة السهر

كن نائما ان دجى ليل البهيم وكن ... تبكى ذنوبك حان ساعة السحر

فلنطلب الزاد يا اخى ان لنا ... عما قليل لسير اثقل السفر

لله قابض أرواح الخلائق لا ... ينسى على الارض من جن ولا بشر

يستأصل الجيل ثم الجيل ويلتنا ... لم يبق من احد كلا ولم يسفر

يأتى مماتك بغتا فاستعد به ... ودم حياتك بالمرصاد فادكر

ويوم تدخل بيتا لا أنيس به ... ليس المجاور الا الدود فاذكر

نعى النعاة امين سيدى ثقتى ... خالى وشيخى رجائى كل ما عصر

لا طيب للعيش ان ترب يضم به ... واننى بعد صفو العيش فى الكدر

والعين عمياء وسمعى كان فى صمم ... والقلب أودع بالجمرات والشرر

أنا معزون لا أنا على ثقة ... من الحيات ولكن جاء فى الخبر

ياعين اعطى عقيقا كلما ثقة ... ولا تملى مدى الازمان منتحر

ضريح شيخى خالى رب يا املى ... نور بحرمة طه سيد البشر

لازال أمطار رحمى رب هاطلة ... روض حبيبى وخالى الفاهم الوزر

وارحم به رحمة عبء بشيعته ... بجاه أحمد رب الشمس والقمر

فاغفر لنا وله والوالدين معا ... مع الشيوخ وأهل الدين ذا القدر

ثم الصلاة وتسليم الاله على ... رسولك المصطفى مع صحبه الغرر

التحليل :

يحدثنا الشيخ الشاعر فى هذه المرثية بالاحتياطات التى يجب اتخاذها قبل مجىء الموت ، كما يحدثنا بضرورة اتخاذ العبرة من الموت ، وضرورة تهياة الزاد الكافى وذلك استعداد للرحيل اذ ان المكلف بقبض الارواح لن يغفل عن أحد ممن هم فوق هذه البسيطة

انما قد يحصد بمنجله الرهيب جميع الأجيال التى تتعـاقب على الكرة الأرضية . قال ان الموت لظاهرة غريبة فى أطواره اذ انـه يأتى فجأة دون سابق انذار . هكذا يأتى ويزجينا داخل بيت موحش لا انيس فيه سوى الديدان التى قضى القدر بان تأخذ من أجسامنا نصيبها الكامل . ان الموت لغريبة الاطوار بدرجة ان لا حيلة للبشر تجاهه انه يقول ان هذه الحقيقة يجب أن تجعلنا نحن البشر نترقب الموت على الدوام وان لانثق به على الاطلاق لانه (الموت) قطاع للوصال بين الاحبة وبعد هذه الخطوات الفلسفية التى تتعلق بالموت والحياة ينتقل الشيخ الشاعر الى كشف ما يكنه صدره من ضـيق وحزن عميقين والم ممض تكمن فى فقده لخاله وشـيخه الـذى لم يعرف حسب عباراته كيف يمكن أن يطيب له العيش بعد أن واراه التـراب .

وبعد أن أفاق من غمرة الحزن وسكرة الحسرة والأسى التى أثقلت كاهله انه (الحاج مالك سه) رفع يديه الى السماء مبتهلا عسى أن يرفرف على قبر خاله وقبور جميع المسلمين — ملائكـة الرحمة والغفران باجنحتها النوارنية الفضية هكذا فرثائه بالجملة عاطفة دينية تارة فى أسلوب رصين هذا يتسم وصـفه بسـهولة اللفظ ووضوح المعنى فان رثائه اذن كما سبق أن قلنا صرخة الـم تصدر من أعماق القلب أو انه عاطفة دينية صادقة أو انه احساس بالحزن والالم أو انه سهم بائس صوب الى تجاهه أو انه وجوم أمام الموت تلك القوة الضارية التى تصرع الجبابرة والطغاة بنفس السهولة التى تصرع بها الاطفال والضعفاء فالحـاج مالك سـه

لا يكتفى بسرد عواطفه وما يشعره من لهفة وحيرة فى قرارة نفسه
انما فى الوقت ذاته يريد ان يبرهن على انه لم يفقد عقله الثاقب
الذى يعتبره رائدا موجها وذلك رغم ما حل به من جراء موت خله
الفاهم ميرو. »

انه قال يرثى لأحمد الغــالى :

يا ليت شعرى وهـذى دار أحـــزان
دار تفــرق أحبـــاب واخـــدان
هل لى ذنوب اذا ما نحت من أســـف
على امامى وغاســـولى ومعـــوالى
ياعين لا تجمدى جودى له دورا فمـا على اذا شققت ادران
لولا التناسى على الماضين من كـــرم
لكنـــت خنســاء رنـــا أى ترنـــان
تلوم باك عليه والسماء بكت عليه والأرض والأشجار باجان
لم لا أنوح حنين الثكل من له اذ بان قنديل قلبى نحو رحمان
بخر خضم فرات كان ديدنـه قطع الليالى بتسبيح وقـرآن
غيث غياث عطوف مرشد وزر بـر حليم ثقيف حازم حـان
وبالفريدة كان الفـرد سيدنا ومن اقام صلاة ليس بالـوان
وكان كعبة آمالى وقبلتهـا وزمزما وحطيما حب ديـدان
به انكسار دياناتى قد انجسرت جزاه مولاه احسانا باحسـان
محمد العالى أعلى الله رتبتـه يوم التنادى سقينا خير حيضان
يارب صل على الهادى وشيعته وأجز التجانى خيرا كل ازمان

التحليـل :

يكشف لنا الشاعر فى مرثيته هذه فى المقام الاول بمـا كان يعانيه من لوعة وحسرة واسى بسبب وجوده فى هذه الدنيا الفانية التى ليست الا — فى نظره — سوى دار حزن وتبلية عرى الصداقة والمودة كما يكشف فى المقام الثانى فى هذه القصيدة بالالم الغائر فى احشائه بسبب هذه الكارثة الروحية التى حلت بشيخه محمـد الغالى هذا وبعد أن ابرز لنا ما كان يختلج فى صدره من انـواع التفجع المرير والحزن العميق بدا يحاول تبريد احشائه المليئة بدموع ذرفها غزيرة على الخد ولم لا وهى (الدموع) ليست الا مجـرد أوساخ باطنة يجب التخلص منها .. ويتسائل شيخنا الشـاعر بعد ذلك ما اذا كان بكائه لشيخه شىء يجلب له ذنبـا ؟ او هل سيلومه الناس ببكائه لشيخه الذى بكت عليه السماوات والاراضى والأشجار ذلك السيد العظيم الذى يفوز أقرانه بالعلم ذلك الجواد المعطاء الذى كان يشغله صلواته وتسبيحاته وقرآنه عن الأكـل والشرب والنوم . انه كان فى حياته مقياسا للحزم والجود والكرم . انه جواد كالغيث لم يكن له قبلة سوى كعبة الله المشرفة . لـذا نطلب من الله تعالى أن يجزيه ويسكنه فسيح جناته ويزيده رتبـة بعد رتبة وصل عليه يارب العالمين مثل ما صليت على نبيك المصطفى الهادى وعلى اصحابه الكرام كما نطلب منك يارب العالمين أن تصلى على ابى العباس احمد التجانى واسقينا يوم القيامة بافضل ما يشرب فى ذلك اليوم العصيب هكذا ، فرثاء الحاج مالك سه دوما لا تفوح منه رائحة الدين الاسلامى الصافى أو الايمـان الصـادق العميق والتعلق الكامل بالحياة الاخرى .

٢ — القسم التعليمى (المعرفى)

شعره فى هذا الباب ، ذا نسج قوى وأسلوب رقيق ومعان لا غبار عليها ، فضلا عن النصائح الغالية والتوجيهات الرشيدة التى تتضمنها ، وللوقوف على نماذج من هذا النوع اخترنا لكم من قصيدته (قنطرة المريد) الأبيات التالية التى تتعلق بالعلم وضرورة طلبه وكيفية تحصيل العلم .. انه قال :

واختر من العلوم علما ينفع ... يوم الحساب جل ربى المبدع
وينبغى للطالبين اختيار ... احسانه كذلك الاختيار
مما له فى دينه فى الحال ... يكون محتاجا وفى المثال
وكن أخى التوحيد ... وهكذا معرفة الوحيد
وذلك بالدليل لا التقليد ... ايمانه حقا على الترديد
اما التعلم فالصغير ... كذاك كل جاهل كبير
من طلب الشىء وجد وجد ... كم من فقير بعد جد وجد
من قرع الباب ولج ولجا ... كم من طالب من جده فلجا
بقدر ما المرء به تبنى ... يأتيه ما يهوى وما تمنى
يحتاج من نفقة تعلم ... ثلاث الجد كالعلم
والاب ان كان من الاحياء ... والمعلم بلا خفاء
واتخذ الليل البهيم حملا ... تدرك به من دون شك املا
من دام فى الليل على الاسهار ... يفرح الفؤاد فى النهار
واظب على الدرس مع التكرار ... فى أول الليل وفى الاسحار
ووقت سحر ثم ما بين العشاء ... بين مبارك على الخير عشاء
واغتنمن من الحديث انه ... وعنفوان يا أخى الشبابه
تعطى بقدر ما الكد ما تروم ... فى الليل من رام المنى يقوم

يا طالب العلوم باشر الــورع   وجانب النوم وجانب الشبع
وكل اذا بالرفق والتدريــــج   لا الجد والضعيف والتهريج
وطالب العــلم فلابــــد لــه   من هبــــة عاليــة محلـــه
والمــرء من همتــه يطــــير   كالطير نحــو ما بــه يــدور

ومنها أيضا هذه الأبيات التى يبين فيها شيخنا الشاعر الى الدوافع التى تجلب الفقر انه قال :

اسراعوا الخروج بعد الفجر   من مسجد من موجبات الفقر
كـذلك الابتكار فى الـذهاب   للسوق والابطاء فى الايــاب

* * *

٤ ــ القسم النقلى والاخبـارى

يشغل هذا القسم من شعره الجزء الأوفر وهو جزء يمتـاز بالتقدير وتعداد الفضائل فذكر خصوصيات ثم ابراز صفات خفيـة مجهولة فالاستشهاد بالمعجزات ثم عاطفة تطغى على قوة التفكير ، فاذا الممدوح مخلوق اصطفاه الله بين الخلائق أو أنه نجم تعلـق عاليا فى أجواء الفضاء أو انه بدر فى كبد السماء فى ليلة ظلماء أو انه شمس فى وقت الهجيرة أو الضحى . وذلك فى عبارات كلها رقـة وقوة وجمال وحتى ان المتذوق للجمال يدرك فى الوهلة الأولى على انه امام صورة نابضة بالحياة من خلال التعبيرات الرشيقة الشيقة وتحت ايحاء شعورى خلاب لا مجال فيه للهزل انما يسوده الذوق والحسم والعمق فى التفكير اما هو شخصيا امام الممدوح ــ فهـو حقير لا شأن له . لذا يرجو منه العون ، هذا ومن (رسـولياته ،

هذه القصيدة اللامية التى نظمها وهو يستعد للذهاب الى الديار المقدسة والتى استهلها بقوله :

لقد هاج قلبى للحنين عجـول … وركب الى واد العقيق عجول
وقلت لعينى ان تحلفت اسبل … بامطار شوق كالعقيق تسيل
انوح كما ناحت حمامة ايكـة … يهيجا نحو البكـاء هـديل
ودونى يعقوب على فقد يوسف … وترحمتى وقت النواحى ثكول
مواكبد من حب مالا الاقـــه … وبحر اشتياقى للهيام يهول
لبحر الهوى قعر فمن رام نيله … يكيل ولا يعزى اليه وصول

الى آخر هذه القصيدة التى تبلغ الى ١٥٢ بيتـا :

ومن رسـولياته ايضـا :

محمد خير مبعوث حوى شرفا … باب الاله لماضى الخلق والات
هو الرسول الذى عمت رسالته … كل الانام بلا ريب وريبـــان
والله شق له من اسمه كرما … اسما وقد خصه خير المحبات

ومنها ايضا هذه القصيدة التى نظمهـا وهو يدخل الأراضى المقدسـة انه قال :

ابدى بروق تحت جنح الظلام … ام وجه مية أو ربوع الشـلم
ان الربوع بشـارتى وامانتى … وربيع قلبى وهى خير شيـلم
والدمع اذ بعدت ربوع ربوعنا … جار وجارح منخر بسهـــام
مه عازلى لوحزت علما لم تلم … هل عذل مثلى لم يكن بحرامى
ملأ الفؤاد قضاة شوقى والهوى … الما ووجدا يالطول هيـامى
ياغاديا يعلوا المسنا فبلغـن … سلما وسل عن جيرتى بسلام
ماربوع على مجنون ليلى ان لى … دائا دوبيا ما ابلّ سقـامى

واقرأ لهم تبين بر صادق … انى بهم حلف الجوى وغرام

يارب ليل بت ساهرا رقد … متجاوبا متساجلات حمام

أرعى الكواكب فى الصريم كأنها … شدت بأهداب صمام صمام

عتم ظراف كمل لكنهم … لم يعرفوا النقرى بوقت هشام

عدل كرام معدل لكنهم … نالوا لدى التقسيم خير سهام

الطيبون معاقد لكنهم … من جودهم قطرات غيث ركام

لا عيب فيهم غير أن جموعهم … سم العداة سعود كل ادام

عسل صفاة معتفون نوالهم … ينسون أهلهم لطيب مقام

وهم النجوم لمقتد بسمائهم … بدر الدجى منه انجلاء ظلام

شمس الهدى هى نور وجودنا … اكرم ببدر أول وختام

مذ كان اطلع قداتى فوز لنا … والكفر فى كفر بدى وسدام

انى وأوفى قطبنا وامامنا … وزرا وعهدا من جميع انام

وبخيله وبخيره جلب الورى … ولمن اجابوا نيل خير مرام

هو سرنا هو نورنا هو مجدنا … وهو الشفيع عند يوم خصام

ومكانة وسعادة وامانة … ومفازة غنم وخير امام

وصبيح صبح فخره متأثل … من آل بيت المصطفين كرام

وضليع فم ثغره كبروق .. أو … حب الغمام لدى ابتداء سهام

أبريق شام عنقه قل عرفه … كالآى بل فوقها بمقام

ومرجل سبط العظام مطيب … وكان فى العرنين وصف شمام

ل كفه خير الشفاء ورحمة … اشباع جوع انتهاك لئام

ل كمه ريح تفوح وتزدرى … ريح الخزامى أو صفى مدام

لصحابه الذ يرتوون جميعهم … وتوضؤوا من فيضه بنظم

وصحابها قد سبحت تسبح من … حار الحصاة تفار ماء نمام

وبريقه ملح اجاج سلسل ... اكرم بهاد المهتدين حمام

سل عنه ريق النبى المصطفى ... مص اللسان انتقاء او ام

رشفاته رضعا البتول بريقه ... استعنوا بعاشوراء بالامام

يارب من قد سل من عرق النبى ... اكرم به طيبا بطيب ازام

طيب وماء قد تسلسل ريقه ... عسل مذاقته دواء عقام

وخلوق اتواه لمن قد بايعوا ... خمسا نفاه بمضعه للحمام

وبرجله تسكين صخر قل لها ... اثر متى تمشى فويق ركام

بتكفا يمشى الهوينا لا لها ... فى السهل من أثر ولا بسام

توصيفه بالزهد عين جهالة ... هل كان اقبال لخير امام

بدر دجى ليلا يناجى ربه ... وله الامامة قر عند سلام

اكرم بمن جبريل من خدامه ... ميكال اسرافيل شمس عيام

هو حامد هو أحمد ومحمد ... وهو المناجى حاز طيب كلام

وانشق بدر اذ تمنى خائبا ... ليكون من خدام خير كرام

ليث به صار الليوث كقردة ... والأسد قد صاروا به كقعام

ان النعامة فى اتباع نعامة ... تبعت نعامته مريد سدام

من عاف ايمانا ففى ايمانهم ... ما يدفعون عناد غير ادام

فئة رضى قد بايعوه لربهم ... ورضاهم مولاهم بامام

قوم أنوف آنفون لغير ما ... يرضى اليها غافرا بدوام

ان كنت باك فابك أصحاب النبى ... مادمت باق سرت خير نظام

وبصاحب الختام خاتم الانبياء ... فامنن علينا ربى حسن ختام

يامنتهى الآمال يارب الورى ... انى أتيتك لابسا بآثام

ثم الصلاة مع السلام تباريا ... أمد الدهور على شفيع الانام

والآل والصحب الكرام جميعهم ... مالاح فوق أو بدور ظلام

التحليـل :

يستهل شيخنا الشاعر هذه القصيدة بذكر ربوع الحجاز التى طالمـا حن للوصـول اليها بدرجة انه لما بعد عنها بحكم ظـروف قاهرة كان يسهر الليالى ويسيل دموع الوجد والألم على خـديه ليس الا انه محروم برؤية هذه الأراضى المقدسة واهلها الذين فاتوا جميع الناس فى الصفات والأخلاق والسـلوك . ذلك لأنهم شرفاء ومن عاداتهم الحسنة أنهم ينسون انفسهم دائما لاعطاء الوافدين اليهم (مكة) المكان اللائق بهم فهم اسعد البشرية لأن محمدا عليه الصلاة والسلام اختير من بينهم ليكون رسـولا للعـالمين . نعم الرسـول صلى الله عليه وسلم الشـفيع الذى قهر المعـاندين والطغاة وحقق — بفضل خيره وخيله — الدعوة التى كلف بها من لـدن حكيم خبير . وبذلك فهم اناس نالوا النصيب الأوفـر من القسمة . انهم اناس طيبون لا عيب فيهم سوى أنهم فى وقت المأدبة لا يعرفون النقرى وانهم فى وقت القتال يكونون سما على الأعداء . أما ما تبقى فى القصيدة فهو ذكر خصوصيات خص بها الرسـول عليه الصلاة والسلام ، وبالتالى فهو معجزات خارقة للعادة رافقت الميلاد والبعثة النبوية الشريفة .

هذا وان كان اسلوبه فى المدح قويا ورصينا فى نفس الوقت ، فاننا لو حاولنا اخراج جديد منه من حيث المبنى ، فاننا لن نجـد سوى المألوف وما هو واضح ، وبعبارة اخرى فلن نجد سـوى معان تشبه وجه الممدوح بالبدر أو الشمس أو الضحى ، ومع ذلك فان وصفه يثير الاعجاب وبالتالى عندما يطالعها القارئ يملكـه

شعور عام يتسرب الى أبعد أعماق النفس ومن (رسوليلته) ايضا هذه القصيدة التى نظمها بعد أن أدى فريضة الحج وزار النبى عليه الصلاة والسلام فى المدينة المنورة وهو يتهيأ لرجوع الى وطنه حيث قال :

استودع الله ربى كعبة اللـه وكل ما حوله يا كعبـة اللـه

بك أستجير الى الرحمان خالقنا وشافعينا غدا يا كعبة اللـه

الوالدين مع الاحباب والعربا وكل راجى دعائى كعبة اللـه

جبت البرارى كما خضـت البحور الى
أن طفـت حـولك ان الحمـد للـه

لا تجعلن رجائى رب منعكسا توفنى ربنا فى طاعـة اللـه

الحمد لله رب العـالمين على زيارتى قبل فوتى صفوة الله

زرت الحبيب الـذى تـرجى شـفاعته
عليـه ألف تحيـات من اللـه

زرت الحبيب الذى لولاه ما برز الكون وما نعموا من نعمة الله

ززرت الحبيب الـذى عمت رسـالته
عليـه سـلامات مـن اللـه

زرت الحبيب الذى أسرى الاله بـه
لقـاب قوسـين أو أدنى من اللـه

زرت الحبيب الذى أبغى مرافقه لدى الصرير مضى لوجهة الله

زرت الحبيب الذى دنا الحبيب ولـم
يأمـره خلقـه فى حضـرة اللـه

زرت الحبيب الذى ما بـين منبـره
وقبـره روضـة من جنـة اللـه

زرت الحبيب الذى ما الخلق يمدحه
اذ جاءه قدما مدحا من الله
زرت الحبيب الذى فى ليلة انطفئت
نار الفوارس اخمادا من الله
زرت الحبيب الذى غار المياه به
وكل ذلك ارصاص من الله
زرت الحبيب الذى كانت شريعته
ما قبل ناسخه من شرف الله
زرت الحبيب الذى ما كان منتقما
لنفسه بل لخلق الله فى الله
زرت الحبيب الذى به الالوف غنوا
كما به هلك الالاف لله
زرت الحبيب الذى قد قال تبشرة
من زارنى وجبت زورة من الله
زرت الحبيب الذى كانت صحابته
مبايعة لارضاء من الله
زرت الحبيب الذى كانت صحابته
تطعم لحم العدى العربان الله
زرت الحبيب الذى كم علة شفيت
بمس يمناه ناعجب خيره الله
زرت الحبيب الذى مازاره احد
الا وقد نال غفرانا من الله

زرت الحبيب الذى عادوه يشملهم
يوم القيامة اذلال من الله
زرت الحبيب الذى يكفى بمدحته
لولاه ما كان ايجاد من الله
كلا ولا نعمة الامداح كلهما
من عينه نافع من رحمة الله
عليه والآل والاصحاب قاطبة
ألف صلاة وتسليم من الله

هكذا يعرض الحاج مالك سه افكاره فيما عدا الوصف والغزل — بوضوح ويسر وسهولة تكون اقرب شكلا الى النثر من الشعر . ذلك لأن الحاج مالك سه كان مثقفا ثقافة واسعة بشكل يخيل الى من يقرأ (مؤلفاته) أنه لم يترك كتابا فى عصره الا أنه طالعه واستوعبه ووعاه وهذه الحقيقة هى التى يمكننا ملاحظتها فى خلاص الذهب الذى اخترنا لكم منه الفصل التاسع الذى يدور موضوعه ببدء الوحى والبعثة النبوية الشريفة أنه قال :

من بعد طاء ولام ثم ستة أشهر
رئى كتفلاق الصبح لم يهم
والله ارسله للعالمين هدى
ورحمة اذ مضى جزل بلاوهم (1)

(1) الانبياء سورة ٢١ الآية ١٠٦ — ١٠٨ ، سورة ٣٣ الآية ٤٥ — ٤٦ سورة ٣٤ الآية ٢٨ .

فى يـوم الاثنين فى الشـهر المعظم
اذ لا برويز مضـى عشـرون مـن أمـم
وكـان بدئـا عـلى حب الخـلاء الـى
أن جـاء فى الغـار روح القـدس لم ينم
وغطـه لبـوغ الجهـد قائلـة
فاقـرا وقـال لـه مـاذاك مـن نظـم
اقكروا الغط مرات يقول له اقراء باسم ربك انت الخاتم الفظم (١)
وآب مرتعـدا ممـا يـرى فزعـا
وقائـلا زملونى ترفعـوا الغمـم (٢)
خديجـة سـكنت بالقلب قائلـة
لم يخـزك اللـه فى الداريـن لا تكـم
حائت لورقـة تحـكى مـا رواه لهـا
وقـال ناموس موسى ذاك فابتسـم
يا ليتنى كنت نبهـا سـالما جزعـا
وكنت حيـا لـدى الاخـراج للاضـم
خـذ عـد ما نـزل الروح الامـين على
رسـل ارتب كى اجـزى بنظمهـم
يب لانم تـون ثـم طافلتـو
ح ثـم موسـى لابراهيم عـد بسـم

---

(١) اقرا سورة ٩٦ الآية ١ — ٥ .

(٢) المزمل سورة ٧٣ والمدثر سورة ٧٤ .

دال لادريس عيسى حاريا مسددا
والحبيب كمد الفاضلا انهم

مازال يأتى لـه جبريل مـد يجى
من المستذين بآيات من الحكم

من بعده نازل بالرفيع بيا
فى رفعها الى فنناد الخلق والقدم

يمن وحب ورحم معدل وحيا
صبر وزهد سخا القرآن بالسلم

رؤيا خطاب كذا الالقاب من ملك
مراتب الوحى لا ترتب ولا تهم

وكلها لرسو الله كملها
رحمان لا تسالن ما حازمن حكم

وقد مرى الوحى حقا بعد مفترة
منما وكان الرضى فى غاية الوكم

يعلوا الجبال مريدا رمى جثته
حزنا الى الارض لولا روح ذورحم

وبعد ذا انزل الرحمان خالقنا
يا ايها هب يدعو منذر العزم (١)

خديجة وعلى وابن حارثة
ومن بدعوته عثمان ذو سلم

---

(١) المائدة سورة ٥ الآية ٦٧ .

ثم ابن عــوف وســـعد وزبير وطلـــ
ـحـة كعثمـــان فى الاســـلام والامـم
وعامر وســعيد مع عبيـدة عبـد اللـــ
ـه عمـــار سباق الـــى الكـــرم
وكــان دعــوته ســرا ثــلاث ســنين
يا لـــه عنــد دار الا رقــم الخـــذم
وتـدعى الآن دار الخيزران وصـحبه عــلى وجـل للـــه ربهـم
ولا يصـــلون الا فى الشـــعاب اذا
ما اشــتد عــذر فيســر اللـــه فى امـم
وانهـم خرجـــو مــن بعــد كونهــم
زجـلا وكان شــهاب الدين ذا ضــرم
وبالنبـى اســلم الفــاروق ثـم بـــه
كان الخـروج لنحــو المســـجد الحـرم
وزار ذى وحســــن يــا اخـى قـريش
ـمـا يظنــون ان الامـــر ذو الــــوذم
كـان بــه مــرض لمـــا اتــاه وانــــ
ـذر العشـــيرة يا مختـــار من رجم (١)
مـــانه فلـــن فطــلب الجميـــع ولا
تدعـــوا ابا لهب ذا الحقـــد والكــزم
دعى الجميـع لكى يأتـوا اليــه معـــا
مكـررا انقـذوا الارواح مـــن حطـــم

---

(١) سورة ٢٦ الآية ٢١٤ .

لمـا ابـو لهب تبـا اجـاب لـذا
تبت يـدا نزلت مازال ذا سـدم (١)

اذ انـزل اللـه فاصـدع قام مجتهـدا
وجاهـرا بدعـاء النـاس كلهـم (٢)

وذاك فى سـنة قـد قيـل رابعـة
مستهزئيه ومـوذ كـل مسـتلم (٣)

التحليـل :

يوقفنا شيخنا الشاعر فى هذا الفصل من قصيدته (ميميته) امام حادث هائل وأعظم لحظة شاهدتها البشرية ، هذا بقدر ما هى لحظة من أخطر اللحظات التى مرت على البشرية فى مسيرتها الطويلة ، بقدر ما لها دورها الفعال فى تحويل مسيرة الضمير الانسانى ، انها اللحظة التى عاد فيهـا ذلك الاتصـال الرسمى الذى يربط بين الخالق وعباده ، ذلك بعد أن فترت فترة غير قصيرة نعم انها لحظة بدء نزول الوحى من الملأ الأعلى الى الرسـول عليه الصلاة والسلام .. يقول الحاج مالك سه (.. انه لما حاز محمد بن عبد الله تسعة وثلاثين سنة وستة أشهر أرسـله الله هدى ورحمة للعالمين ، يقول : ان الوحى (النبوة) بدأ على شكل الرؤيا الى أن جاءته مثل فلق الصبح ، وكان محمد صلى الله عليه

---

(١) سورة ٦٦ الاية ٦ .

(٢) سورة ١١١ الاية ١ — ٥ .

(٣) سورة ١٥ الاية ٩٤ — ٩٩ .

وسلم قد حبب اليه الخلاء حيث انه كان يخلوا بغار حراء فيتعبد فيه حتى جاءه الحق المبين وهو فى الغار كان ذلك بتاريخ ١٧ من شهر الرمضان المعظم حيث وجده جبريل وطلب منه بان يقرأ ، الا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اجابه بانه لا يعرف القراءة اخذه جبريل فغطه للمرة الثانية والثالثة حتى بلغ منه الجهد مبلغا ، ثم طلب منه تكرار ما طلب منه تكراره ففعل . رجع الى بيته مرتجفا ، ولما دخل على السيدة خديجة بدا يقول (زملونى . . . زملونى) فلما زملته السيدة خديجة وذهب الروع عنه سالته السيدة خديجة بما له فلما حكى عليها ما حل به طمئنته هذه الاخيرة بقولها (ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا) ثم انطلقت به الى ورقة ابن نوفل وهو ابن عمها (اخى ابيها) ، وكان شيخا كبيرا قد عمر فقالت له ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال له ورقة بن نوفل : « ما ترى ابن اخى » ؟ فاخبره محمد بما راى فقال له ورقة بن نوفل : (هذا هو الناموس الذى نزل على موسى عليه الصلاة والسلام) وليتنى كنت فيها جذعا وليتنى اكون حيا حين يخرجك قومك ، لاساعدك بكل ما عندى من قوة وبعد هذه اللمسات الموحية ، وهذا المشهد المثير وقبل ان نمضى فى العرض وقف الشيخ الشاعر يرسم لنا لوحة زيتية لتلك الحالة النفسية الخانقة التى كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعيشها خلال الفترة التى فترت الوحى اثنائها وانقطع بذلك الصلة التى كانت تربطه بالملأ الاعلى حيث انه بقى بلا زاد ولا معلومات كالمعتاد حيث احست النفسه وضاقت به الارض انه رجع مرة اخرى الى الجبل الذى

كان قد حصل فيه الاتصال الاول بينه وبين جبريل عليه الصلاة والسلام لعله يتلقى من جديد بالحبيب المؤنس (جبريل) هذا ولما صعد الى الجبل لم يشعر الا وسحابة رقيقة لطيفة تغشاه ويعود كل شيء الى سالف عهده فاذا بجبريل يرفرف فى اقصى الافق باجنحة نورانية فياضة هنالك ادركته رجفة وجثى بل وهوى الى الارض ولما افاق انطلق مرة اخرى الى بيته مرتجفا وقائلا (زملونى زملونى) ففعلوا ما طلب منهم لكنه ظل يرتجف من الروع والفزع واذا جبريل يناديه (يايها المزمل) (يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر) من هنا هب محمد عليه الصلاة والسلام ، يدعوا الناس الى الله ومنذ ذلك التاريخ قام النبى وظل قائما طوال اثنين وعشرون سنة وخمسة اشهر واثنين وعشرون يوما حمل خلالها عبئ الامانة الكبرى على عاتقه لا يخاف لومه لائم ولا جبروت طاغ .

هذا وبعد أن أسدل شيخنا الشاعر الستار على هذا المشهد العظيم يرفعه لنا للمرة الثانية لنرى احداث فجر الدعوة ونقف بادىء ذى بدء على أسماء أولئك الذين لهم السبق فى الدخول الى الاسلام ، ونحن فى مقدمة هذه الأسماء نجد : بالترتيب : ابو بكر ، وعلى ، وخديجة ، وابن حارثه ، وعثمان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن ابى وقاص ، وزبير ، وابو عبيدة بن الجراح ، وعبد الله ابن مسعود ، وعمار وأخيرا بلالا .. بعد هذا اكشف لنا ان الدعوة دامت ثلاث سنوات فى مكة سرا دون الجهر واثنائها كان المسلمون يجتمعون فى دار ابن الارقم وكانوا يؤدون العبادة فى الشعاب خوفا من ان تتسرب اخبار الدعوة الجديدة الى طغاة قريش وذلك

للموقف العدائى الذى كان يقفه القريشيين بازائهم ، هكذا ولما نزل قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) وكان عدد المسلمين آنذاك حوالك أربعين فردا بانضمام عمر بن خطاب الذى له الفضل فى ازالة القلق الذى كان يراود المسلمين فى بدء الأمر ، هذا ولما نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين ..) الشعراء وسورة ٢٦ الآية ٢١٤ — ٢١٥ .

كان النبى عليه الصلاة والسلام قلقا وحائرا لأنه كان يعرف — سلفا — ذلك العداء الذى كان ناره تتأجج فى صدور أقاربه تجاه الدعوة الجديدة ولكن ما العمل ؟ لذا لما علم بأن ليس لرسول سوى البلاغ خرج هو مسرعا الى بطحاء مكة بخطى ثابتة وثقة كاملة . صعد الجبل فنادى الى العباد بأن يتركوا عبادة الاصنام ، ثم أمرهم بالابتعاد من المنكرات والموبقات .. فأجابه أبا لهب بقولته المشهورة وبذلك نزل القرآن الكريم : (تبت يدا أبى لهب ..) سورة ١١١ . هكذا فشيخنا الشاعر صادق فى نقله وأمين فى اخباره فشعره فى هذا الباب كما يمكن أن يلاحظ اى كان أنها تأملات غائرة وافكار مأثورة مستمدة من القرآن والسنة . وشعره فى هذا الباب (الاخبار والنقل) ليست فى حد ذاتها سوى آيات قرآنية مصوغة فى قالب شعرى جذاب . تلك ان دلت على شيء انما تدل على ان لشيخنا الشاعر ملكة فنية فائقة يفرغها دوما فى بوتقة شخصية بارعة انه قال :

للموقف العدائى الذى كان يقفه القريشيين بازائهم ، هكذا ولما نزل قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) وكان عدد المسلمين آنذاك حوالك أربعين فردا بانضمام عمر بن خطاب الذى له الفضل فى ازالة القلق الذى كان يراود المسلمين فى بدء الأمر ، هذا ولما نزل قوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين ..) الشعراء وسورة ٢٦ الآية ٢١٤ — ٢١٥ .

كان النبى عليه الصلاة والسلام قلقا وحائرا لأنه كان يعرف — سلفا — ذلك العداء الذى كان ناره تتأجج فى صدور أقاربه تجاه الدعوة الجديدة ولكن ما العمل ؟ لذا لما علم بأن ليس لرسول سوى البلاغ خرج هو مسرعا الى بطحاء مكة بخطى ثابتة وثقة كاملة . صعد الجبل فنادى الى العباد بأن يتركوا عبادة الاصنام ، ثم أمرهم بالابتعاد من المنكرات والموبقات .. فأجابه أبا لهب بقولته المشهورة وبذلك نزل القرآن الكريم : (تبت يدا أبى لهب ..) سورة ١١١ . هكذا فشيخنا الشاعر صادق فى نقله وأمين فى اخباره فشعره فى هذا الباب كما يمكن أن يلاحظ اى كان أنها تأملات غائرة وافكار مأثورة مستمدة من القرآن والسنة . وشعره فى هذا الباب (الاخبار والنقل) ليست فى حد ذاتها سوى آيات قرآنية مصوغة فى قالب شعرى جذاب . تلك ان دلت على شىء انما تدل على ان لشيخنا الشاعر ملكة فنية فائقة يفرغها دوما فى بوتقة شخصية بارعة انه قال :

خمسين ألف سنة يا ربنا

صلى على شفيعنا مرشدنا (١)

إلهى الأمانى يوم ينفخ

فى الصور أعطينا أمانا يوسخ (٢)

يوم تشقق السماء بالغما

م ربى الأمانى فالأمانى ربنا

يوم زلزلت الأرض ربنا

ربى الأمان فالأمان ذا الرواح (٣)

ويوم تطوى ربنا السماء

الأمان فالأمان والنجاة (٤)

كطى يارب السجل للكتاب

صلى على الحبيب قاتل التباب

ويوم يارب الورى تبدل

الأرض غير الأرض يا مفصل (٥)

وايضا :

يوما يفر عشيرة من عشيرته

وأمه وأبيه ثم زوجات (٦)

---

(١) معارج سورة ٧٠ الآية ٣ — ٤ .

(٢) النبأ سورة ٧٨ الآية ١٨ — ٢٠ ، سورة ٣٩ الآية ٦٨ — ٧٥ .

(٣) الزلزلة سورة ٩٩ .

(٤) الانبياء سورة ٢١ الآية ١٠٤ ، سورة ٣٩ الآية ٦٧ .

(٥) ابراهيم سورة ١٤ الآية ٤٨ .

(٦) عبس سورة ٨٠ الآية ٣٤ — ٣٧ .

كل امـرىء شـانه يعيبـه

فزع غير رسـول مصـباح دجنات

وايك ايك الغضـاب لقولـه

خـذ العفو وامرن ذا العجيب (١)

فسـددوا وقاربـوا وابشـروا

أعانتنـا الهفـا المقتـدر

وخـذ من الاعمـال ما تطيـق

نانـه الـذى بـه التوفيـق

وايضـا :

واللـه فى عـون لعبـد كانـا

عـونا على أخيـه حيث كانـا (٢)

وايضـا :

ان الكتـاب الـذى جاء النبى بـه

فلا ترى فيـه لومـا او شتيمـات

اما التيجانيـات فيصعب تمييزها برسولياته وذلك لأنـه بعضها حسبما لاحظنا فى منزلة واحدة ومن تيجانياته هذه الأبيات التى بين خلالها فضل المتعلقين بالقطب التجانى انه قال :

---

(١) سورة ٧ الآية ١٩٩ .

(٢) « من كان لله كان الله له » حديث شريف .

اولى ضمان المصطفى عدنان
لحزبه الموت على الايمان
تخفيف ربى سكرات الموت
عنهم من الوعود دون الفوت
ولا يرى فى القبر غير ما
يسرهم سبحان خالق السماء
تأمينهم من جملة العذاب
رب الورى المقدر الأسباب
ويغفر الله لهم ذنوبا
سبحانه ويستر العباد
والتابعات من خزائن المجيد
لاحسناتهم يؤدها الودود
من المزايا عدم الحساب
وعدم السؤال والعقاب
اظلالهم فى ظل عرش الله
يوم القيامة فيا لله
جوازهم كواهل الملائكة
على الصراط منه للمالك
اسرع من طرفة عينان اذ
لمغنم لكل برذى اختذاء
يسقى من حوض خير الناس
ربى بذى ابى العباس

يدخلهم بغير حساب
جناته كلا ولا عقاب
يجعلهم فى دار علينيا
من جنة الفردوس ساكنينا
يحب من أحبه النبى
شفيعنا المشفع المرضى —
وذا المرتب فللعموم
وللخصوص الباقى للتكريم
ويدخل الجنة حاوى الورد
ووالد وزوجة كالولد
كذاك الأصهار والذرارى
واستثنين حفيدة ياقارى
يدخل جنة بلا حساب
ولا عقاب ولا عذاب
ان لهم لموضعا فى المحشر
فى ظل عرش ربنا المقدر
سكناهم الأعلى بعلينيا
مجاورين خير مرسلينا
وخصصوا ببرزخ تعيينا
وحدهم يافوز سالكينا
ليسوا بحاضرين هول المحشر
صلاة ربنا على المشرف
ولا يذوقون مرارة الممات
يا ربنا التوبة من قبل الفوات

٥ — قسم الحكم والزهديات

تمتاز زهدياته بالتأمل والتعلق بالخالق وعلى (صرف النظر عن عالم الحسى الفانى) الذى ليس — فى نظره — سوى سلسلة متلاحقة من النوائب المستعصية أو انها حملة ثقيلة على كاهله فغناء يطارد البشرية فى مسيرتها الطويلة انه قال :

الا كل مولود فلا شك انه
يسلمه ياذا الحبيب شعوب

الا كل مولود وان طال عمره
سيدعوه داعى هلكة ويجيب

هكذا فان زهدياته لنزعة مصبوغة بصبغة المقت على الدنيا وكشف غرورها انه قال :

الا دار دنيا دار نوكى وجيفة
يجاذبها فاحذر بتلك كليب

الا انها دار الغرور فمن صفى
له العيش منها فالكدور عقيب

ويمكن أن نقول أيضا انها نغمة تشاؤمية تطغى عليها تذكير أهوال الموت ووحشة القبر بعد مفارقة هذه الدنيا قال :

فكيف يكون الفرح والموت منظر
ومن بعده أهوال الردى وكروب

فيايها البانى محل ضيافة
الم تعلم أن الجلاء قريب

ويوم يفر المرء عن كل صاحب
كفى واعظا للغافلين حسيب

هذا وبحكم أن زهدياته تمثل بعمق افكار وتأملات تتعلق الى ما وراء الحس البشرى ويستوحى منها ملاحظات جريئة فانها جديرة بالدرس وقد لاحظنا وجود ظاهرة غريبة فى زهديات الحاج مالك سه لا يمكننا أصلا اغفالها لأننا لا نجد لها تفسيرا واضحا الا وهى انه يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم والشيخ أحمد التيجانى بنفس العبارات التى يخاطب بها الله انه قال موحدا ربه :

انى وان كنت أثوابى مدنسة
بماء عفوكَ أرجوك غسل أقذارى

ورحمة الله كلَّ الخلق قد سبقت
من فاجر ومطيع زاهد بارى

لو كان بابكَ لا يأتيه ذا اثم
فما ادعيكَ غفورا كل أوزارى

وقرعى باب الغير يارب لم يفد
لذاكَ صرفنا نحو بابك وجهتى

ظلمت نفسى وان لم تغفرن زللتى
ربى وترحمنى فالخسر ما ترم

اليك اشكو امورا انت تعلمها
تحرقى وانشواء القلب من سقم

ولا ترضى غير الله يوما وكالة
الا انه كافٍ الأنام حسيب

أمن بعد وعد الله ثم ضمانه
واقسامه يأتى الفؤاد وجيب

فليس لنـا رب سـواك وما لنـا
ملاذ ولا منجى سـواك يثـوب
يا منتهى الآمـال يارب الـورى
انـى آتيـك لابسـا بآثـام

هكذا فنحن لما نقابل هذه الأبيات التى عرضناها فى ميدان توحيده لله مع الأبيات التى قالها فى حق الرسول عليـه الصلاة والسلام والتى قالها فى حق أبى العباس أحمد التيجانى نصل مباشرة وجهة الغرابة التى سبق أن قلنا أننا لم نجد لها تفسيرا الى الآن انه قال فى حق أبى العباس أحمد التيجانى قال :

هو الملاذ الـذى لم يخشى آملـه
فليس عنـدى ولكن بالعطيـات
ياسـيد أبا العبـاس وصلتنـا
يامفزعى ملجئينـا فى الضـرورات
أرجـو انجـلاء ظـلام القلب منـه
ومن يرتد برفدك يظفـر بالمعـونات
ختام نظـام للولايـة جمـلة
بـه ارتجى الغفـران من كل زلـة
به ارتجى فتح المغـاليق كلهـا
وقايتنـا التيجـانى من كل شـدة
طوبى لمن كان هـذا القطب ملجئـه
يا أمنة الخوف فى يوم الخصـومات

ان عرفنا هذا كله بقى لنا أن نعرف بالذات الوقت الـذى

بدا فيه شيخنا الشاعر يجنح الى حياة الزهد وما مصدر مقته لهذه الحياة حتى وكأن زهدياته مرآة صافية انعكست خلالها تلك الحالة النفسية القاسية التى كان — فيما يبدو — أن شيخنا الشاعر يعيشها اننا فى الحقيقة لو حاولنا اعطاء جواب لهذين السؤالين فلن نرى مانعا فى الاقرار انه بدأ هذا الزهد لما بدأ يشعر بثقل السنوات التى كان يحملها على كتفيه فضلا عن كون راسه قد اشتعل شيبا فمقته وكرهه لهذه الحياة اذن كما هو ظاهر فى بداية هذه القصيدة يرجع بالدرجة الأولى الى قصر المكث فيها (الدنيا) أو أنه أصبح وشيكا بمفارقتها . انه قال :

هل الدهر ان طار الغراب يطيب
وجاء رسول الموت بعد بنوب

أراك نسيت الموت والموت مورد
فللكل من بحر الممات نصيب

الاكل مولود فلا شك أنه
يسلمه يا ذا الحبيب شعوب (١)

الا كل مولود وان طال عمره
سيدعوه داعى هلكة ويجيب

اياك تدبيرا فما هو نافع
وسلم الى الله الأمور تتوب

وخير ولا تختر فكيف اختيارنا
وان مغيبات الأمور تغيب

---

(١) سورة ٢٩، الآية ٥٧ ،

الا فارض مـا يقضى الـله بملكـه
فقيـه رضى مـن بالعظيم يثيب

وما يفعل الهادى الجليل بخلقه
فذاك جميل يرتضيه منيب

الا انهـا دار الغـرور فمن صفى
له العيش منهـا فالكدور عقيب (١)

الا دار الدنيـا دار نوكى وجيفة
يجاذبهـا فاحـذر بتلك كليب

الا انمـا الدنيـا سراب بقيعـة
فيحسبه الظامى الشراب يجوب (٢)

اليـه مسافات واياك لـم يجد
بشيىء وان الحـين منـه مصيب

لاسحر من هاروت وماروت قـال
ذا شفيع لكل المذنبين حبيب (٣)

الا حبهـا راس الخطـايا جميعهـا
ويلقى الدنـا ظهـر الـوراء لبيب

عجـوز فروك فى ثيـاب عزوبـة
غرور الدنا الماضـين قبل عجيب

وان اضحكن يوما ستبكى بسرعـة
ولا خير فى اللـذات بعد لهيب

---

(١) سورة ٢٩ الآية ٦٤ ، سورة ٣ الآية ١٨٥ .

(٢) سورة ٢٤ الآية ٣٩ .

(٣) سورة البقرة (٢) الآية ١٠٣ .

الا مثل دود القز من يجمع الدنـا
والـدود فى منسـوجه لتبيـب
ولا تلك ممن غـر من بعـد غفلـة
ويوم ازدحام العـالمين عصـيب
قبائحهـا تخفى وتبـدى محاسنـا
نزوع لمـا تعطى الحبيب سـلوب
ولا تنس طول الدهر لا تنس ليلـة
صبيحتهـا فيهـا بعـد عسـيبه
الا آخر الأنفـاس داوم بذكـره
ذكى الحجـا يـوم الفـراق يهيـب
فيـا أيهـا البـانى محل ضيافـة
ألـم تعلمـن أن الجـلاء قـريب
سـتخبرك الأيـام أنـك لاعـب
كأنـك يا هـذا الغبـى سـليب
لعمرك ما يغنى المعـانى عـن الفتى
اذا ضـم أوصـال المـريب تـريب
فياويح فـان كان يشـتد فانيـا
تمسـك ببـاق ليس عنـك يغيـب
وعد من الأموات نفسـك نابـذا
ورائـك دنيـا للالـه تبيـب
فيا عجبـا من يهرب النـار نائمـا
ومـن يطلب الجنـات وهـو لعيب

كفى عالما ان التراب يضمه
صواء سرابا والفنا وخشيب
لذيذ طعام والملا ونعومة
لركس وخرق والبلا سيؤرب
ويوم يفر المرء عن كل صاحب
كفى واعظا للغافلين يهيب (١)
فيا عالما علما ولم تكن عاملا
ألم يان أن تخشى العليم قلوب
أراك تروم المال والجاه رفعة
وما هكذا أهل العلى وانيب
أراك سراجا يحرق الدهر نفسه
منيرا لغير ان ذاك مجيب
أفي كل يوم تأمر الناس ناسيا
لنفسك ذاعار عليك يعيب
وان عملا انكحت علما تناسلا
بملك مدام ليس فيها حروب
والافان الحقل ليست بنافع
اذا لم يكن فيها الثمار طيب
عليك التقى ان الخيور جميعها
تضمها ان التقى نجيب
رعاياك فاطرد من محارم ربنا
بمنسات تقوى يحزمنك مجيب

---

(١) سورة ٨٠ الآية ٣٤ — ٣٦ .

ولولا شكور العالمين لغيره
راوه عيانا والله قريب
الا اخلص الاعمال واعلم بانه
غيور فلا يرضى القلوب تشوب
ولا ترضى أن تلقى مطيعا لغيره
وذلك يستحى صميم أريب
أتشركه غير أو لم يك حاضرا
لديه لدى خلق الوجوب
أمن بعد الخلق الذات والفعل ربنا يماثل عاق المجرمين طليب
الا احسن الاعمال واعلم بانما
مطيع به أم يأت فهو لعوب
جليس مليك لم يكن متأدبا
طريد ذليل صاغر وحجيب
الا راقب المولى المهيمن سدى
فنعم مطيع للخير رقوب
فان تسأل الدنيا فان سرورها
يعود عذابا يقتيه اديب
فان تسأل الدنيا فان امورها
كاضغاث احلام بدت وتغيب
فان تسأل الدنيا فان حلالها
حساب وحبس الحرام عقوب
فان تسأل الدنيا فان زوالها
الفت جناح للرموض خلوب

فان تسأل الدنيا فان لذيذها
بضر وبؤس والبلاء مشوب
فكيف يطيب الفرح والموت منتظر
ومن بعد أهوال الردى وكروب
الا فاتخذها معبرا عابرا بها
ولا عامرا واعلم بأنك غريب
كفاجرة تسبى رجالا دعتهم
الى بيتها وهى الرقاب خلوب
كشارب ماء البحر من قد يرومها
فغلته تزداد وهو شروب
قصير يراها الغافلين طويلة
وما هى الا لمحة وغروب
أخى فاجتهد فى اليوم والأمس فائت
وفى غدها ياذا الونى لغيوب
قليل بقى منها القليل ولو درى
مغبتها من رامها ليؤوب
يفر الى المولى كما قال ربنا
ففروا الى الله القريب أجيب (١)
الى النار مع كل المحب مصيرها
لذلك عنها الغافلون عروب
اترضى حبيبا يدخل النار حبه
لحمق وجهل ان ذا لتبيب

---

(١) سورة ٥١ الآية ٥٠ .

متى تعطى حبى أجوفيك بعامهـــــا
أنى لك عـــار مســـتبد ومعيـــب

جنـــاحى وجا والخوف طر نحو مالك
كذاك الردى بارى الأنام حســـيب

لســـانك ان أطلقت يأكلك أنـــه
كليث السرى العـــادى الجـوى وثيب

ولما فــرد عومـــا عليك بعـــزلة
وجـــوع وصـــمت انـــه لنجيـــب

لــه آلاف فى الخـــير قســـمت
على ســـبع كلمـــات عـــداك خطوب

نعم انـــه زيـــن وســـتر وقريـــة
وحصـــن وباب الاعـــذار يحـــوب

مربـــح الكـــرام الكاتبين وهيبـــة
فنعـــم صـــموت خاشـــع واديـــب

الا قل من خالط النـــاس صامتـــا
فلابـــد مـــن قيـــل وقـــال يـــريب

ونفســـك هيب ثـــم بطنك عادهـــا
ومـــولاك فاكـــر انـــه لوهـــوب

واخراك فاطلب ثم دنيـــاك فاتـــركا
معـــدا كمـــا للعـــالمين يـــذوب

احمد واند من رد المظـــالم اهلكـــا
اذب وابقـــن وابـــك كنت تنـــوب

ونفسك شارط ثم راقب وحاسبن

وعاقب وجاهد عاتبن تتوب

لدى نعمة طوع بلا ميسية

حقوق الهى راع حيث تسيب

كشكر وعلم الطوع لله منه

وصبر وتوب للاله حبيب

واياك اياك المزاء فانه

الى الشر داع ومنه خلوب

ولا تك كذابا امامك موقف

مهيب سوى المختار فيه لا رعيب

ووجهه انقاذ نفس لمسلم

وندب لارهاب العدو يئوب

وجائزة الاخلاص كره لزوجة

سوى ذاك للعالمين عنه نكوب

وجانب رياء الناس لا نفع عندهم

ولا ضر ما لم يقض ذاك رقيب

أينفع من الغير نفسه

ومن لا يقى ضرا فكيف يصيب

والأشياء طرا قبضة الله ربنا

يصرفها فيما يشاء قريب

الا سمعة مثل الرياء وغيبة

كاكل لحوم الميتين نسيب

ومن لا يجانب غيبة الناس دهره
سيلحقه يوم الجزاء نحيب
ولا تحسبن الله ربى غافل
وما لافظ الا لديه رقيب
اتصبح كل اليوم غيرك مانحا
خيورك هل يرضى بذاك أريب
أشد وأدنى من ثلاثين رتبة
لدى البعض فى الاسلام ساء ثلوب
فنون جنان الله لا يدخلها
ولا قاطع الأرحام ذاك تبيب
وكذب فنوطا وانهه وابغضنه
ولا تحسبن سوئا أخاك تحوب
ولا جساسا ولا ترضى فعله
لذلك فتى جاء القنوت وجوب
واياك ضحكا ثم لهواد عابة
ويأنف من هذى الخصال حسيب
ولا تنزل الرحمن مجلس غيبة
وذكر الدنا ضحكا نحك نكوب
وفعلك لا تعجب ولا تتكبرن
فانك فى شك هديت يريب
ولا تعتقد فضلا على الغير تغترر
فان ختام الأمر عنك يغيب

وحق على التجار ان يفاخروا
قبيل رباح والحساب حزيب
ولا تك من مكر الاله أمانة
ومن يأمنن مكر الاله يخيب
واياك سوء الظن يوما الى الورى
ولا سيما الرحمن فداك منيب
الا بعض الظن اثم معيب
الا انه للكاذبيين ركوب (١)
ولا ترض غير الله عندى وكالة
الا انه كافى الانام حسيب
واياك الغضاب لقوله
خذ العفو وامرن ذا العجيب
واياك قطع النظر عن نحو ربنا
الى من يشى كى لا يجىء عقوب
أفى داره والملك والمليك غافل
على خلقه ما لا يشاء مصيب
اذا ما ابتليت اصبر واعطيت فاشكرن
وعاف ظلوما ان ظلمت تتوب
وتعظيم أمر الله حمل اذى الورى
هما مورد صافى الزلال رغيب
فلا تك لوام الخليفة انه
فضول الا ان الفضول معيب

---

(١) سورة ٧ الآية ١٩٩ .

الم تــر ان الخلق تجـرى أمـورهم
على ما يشـــاء اللــه وهــو رقيب
الا انه يبـدى الشـؤون لخلقـــه
لـــدى كل يـوم العصـــاة يتـوب
اذا ما راكَ الدهــر يوما بليـــة
يكفـــر مـــن ذات البــلاء ذنــوب
وان زدت منهـا الصـبر يقين بأنــه
بغــير حســـاب للصـبور يثـب
ويمحى بهـا ما لاس تمحـاه طاعة
وتأمــل لــودامت عليكَ كـــروب
ولا تنزعج ان ضـــاق امور فانمـا
تفرجـــه أمـــا صـــبرت قـريب
الا قلل الهمات أن قـــال كن يكــن
وما لم يكــن بأتيــه ليس بصـــوب
أمن بعــد وعــد الله ثم ضمـــانه
واقســامه يأتــى الفــؤاد وجيـب
وداوم على ذكــر الذى جل ذكـــره
بذكــر الهى تطمئــن قلـــوب (١)
ليكفيكَ ما أحببت مـــولاك ذاكـــرا
اخى طلـــوع الشــمس ثـم غــروب
ولكن جدوى الذكــر ان لم يكن بــه
حضــور قليـل والحضــور غـريب

---

(١) سورة ١٣ الآية ٢٨ .

وان تردن نيل الوصــول لخــالقى
عليك على الهــادى الصــلاة تصـيب
وما خلق الرحمــن شـيئا لنفســه
ســوى سـيد المحمود وهــو الحبيب
واوجد باق الخـلق تعظيم حبــــه
عليــــه تحيــات الالــه تطيـب
وذاك النظم يكفى الســـالكين لأنه
بصــير بــأدواء القلـــوب طبيـب
وصلى على المختــار حينــا مسلمــا
إلــه دعــاء الملجئــين يجيــب
مع الآل والأصحاب طــرا والعــلى
ومــن يقتفــى آثــارهم وينيــب
وضع رب وزرا كان انقض ظهــرنا
بجــاه نبــى يرتجيـــــه كئيــب
فيارب ان لم يك يرجــوك مــذنب
فمـــا بال نادمــين الخبير حســيب
فليس لنـــا رب ســواك ومــا لنــلا
مــلاذ ولا منجى ســواك يتــوب
على والجــد فاغفر وشيخ ومحسن
كــذاك جمــع المسـلمين قــريب
على خــير خلق الله أزكى تحيــة
مــدى الدهــر يا رحمــن رب مجيب

التحليل :

تمثل هذه القصيدة فى حد ذاتهــا لونا من أدب الجــد وبعبارة اخرى فهى آراء فلسفية توصل الى نتائج حتمية فى الحيـــاة والموت وان شئنا قلنا أنهـــا ارشـــادات وتوجهات تأتى منه على شـــكل موجات ترتفع وتنخفض فماذا الحياة — فى نظره خدعة وغرور أشبه بعجوزة تخفى سنواتها وقسمات وجهها وجميع عيوبها داخل قناع من المســـاحيق والتجميل الاصطناعى (ماكيـــاج) ذلك كله لتعطى مالا تلبس ان تسلبها قسرا ، وعليه فالذى يسعى وراء زخـــارفها وملذاتها لا يشبه الا بدودة القز التى تنسج لنفســـها بيتا تتواراه ميتة ، أو انها تشبه بتلك الشمعة المجنونة التى تحرق نفسها على حســـاب الآخرين ، ان الحياة — فى نظره — ليس الا سرابا كاذب اللمعـــان الذى يحسبه الظـــامىء من بعيـــد ماء صـــالحا للشرب لكنه لمـــا يقطع المســـافة بينه وبين هذا السراب الذى كان يراه بأم اعينه ، فلا يجد هو نفسه الا فى حالة يرثى لهـــا .

هكذا الدنيا فى نظره ليست الا جيفة خبيثة بين مجموعة من الكلاب الجائعة تتنازعها فيما بينها ، أو انها (الدنيا) ليست لساحر أسحر من هاروت وماروت أو انها (الدنيا) جثة محفـــوفة بالمكارم والجرائيم الفتاكة الشرسة الى درجة انها ان جلبت لك يوم مسرة فانها تبكيك فى الغد ، ومن اجل هذا فا من اراد أن يعرف فى الحقيقة ماهية هذه الدنيا فانه يقول لك أن الدنيا ليست فى حد ذاتها سوى شيئا خفيفا أخف من وزن جناحى البعوضـة فانها نعيم تذيق بعـــده

حريقا والما او انها فى الحقيقة ليست الا اضغاث احلام . او انها شىء يعتبر حبها جناية »

ولكن لماذا هذا التحامل على الدنيا ياترى ؟ يقر شيخنا الشاعر فى مطلع هذه القصيدة ان ذلك يرجع الى كون راسه قد اشتعل شيبا . وان الموت هو ذلك الشبه المخيف الذى ظل وسيظل عبر القرون والاجيال اللاحقة يطارد البشرية أينما حلت وارتحلت سواء كان ذلك فى سراديب تحت الأرض أو فى الكهوف والمغارات وفى الأجواء العليا ، هذا وسيبقى الانسان مهما طال الزمن عاجزا عن الافلات من قبضة الموت الحديدية ولو حاول بأية حيلة انه لن يستطيع لأنه مجبور لا مخير .

أن الناس أمام هذا الشبه (الموت) كلهم سواسية كأسنان المشط ذلك لأن التراب الذى سيضمنا بعد أن يلحقنا الموت لا يميز بين من ينام على الدمقس المفتل وبين من ينام فى العراء جوعا وبين من ينعم بالاطعمة أو من يبيت ليلته فى فرش بطائنها من استبرق أو من .....

هذا ، وبعد أن بين لنا الشيخ الشاعر وجهة نظره فيما يتعلق بالموت والحياة والصبر فانه خص لنا ما تبقى من القصيدة بالنصائح والارشادات القيمة ، الا ان أجدر ما يستدعى الوقوف فى تلك الآراء فى نظرى — هو قوله : باننا لما ننكح العلم بالعمل سنحصل من جراء هذا الزواج مولودا يسمى بـ (الملك) ملكا لن يكون فى ارجاعه آثار للحرب والدمار والفساد . أما النعم وحده

بلا عمل وبالعكس لا شبه بشجرة نخلة لا تثمر .. انه قال :

وان عملا انكحت علمـا تناسـلا

بملكٍ مدام ليس فيـه حـروب

* * *

الشيخ احمد بمب البكى (١٨٥٣ — ١٩٢٧)

حيـاته :

هو احمد بمب محمد حبيب الله بن محمد والسيدة جارة الله مريم ولد سنة ١٨٥٣ فى قرية (امبكى بولْ) التى اسسها جـده محمد (مارم) سنة ١٧٩٨ باذن من امبرگور (اموكوئى فيل) (١٧٩٠ — ١٨٠٩) فاسرته تكلورية نزحت من ايرلو واستقرت فى (جلف) وهى اسرة عريقة ومشهورة فى العلم ، جده كان عالما وفقيها وابوه قاضيا ومستشـارا لدى الملكْ (لتجور كوئى لا تيرجوب) هذا وفى العـلم الذى فطم فيه الحليب اوكلْ الوالد شئونه الى عمه المفسر الكبير (امبكى دمب) وعلى يدى هذا الاخير حفظ القرآن الكريم فى سن جد مبكر ، هذا ولـما قضى العم نحبه رجع هو الى الوالد حيث كان يشـارك اخوته فىْ تعلم مبادىء العلوم ، بعـده تحول الى خاله محمد بص شقيق امه . هذا ولـما توفى الخـال ، رجع مرة اخرى الى الشيخ الوالد وفى هذه الاثناء كان الشـاب شديد الالتصاق بالوالد لا يغادره الا لزيارة خاله محمد جار . هذا ولـما هاجر الوالد الى (سـالم) برفقة الملك لتجور كوئى لا تيرجوب ايام (ماله جنغ) كان الشـاب بجانب الشيخ الوالد ولكنه لم يكن قد تخطى العقـد الثـانى من عمره بعد ، ومع ذلك كان هو قد ضرب فى اكثر فنـون

العلم بسمهم وامر الا انه (الشيخ الوالد) لما استقر فى قرية (برخل) احدى قرى (سالم) انه (الاب) قد سلمه من جديد الى (صمب تكلوركه) الا ان الشاب لم يمكث طويلا لدى هذا الاخير لشغفه وولعه بلقاء عش اللغة والأدب الذى كان شهرته تدوى فى الآفاق وتصل اخباره الى كل قاص ودان الا وهو القاضى الشاعر (مجخت كل) هذا وبعد ان اتصل به وصحح لديه بعض منظوماته الأولية فى الشعر بارحه الى (جاج) حيث تلمذ لدى الشيخ (محمد اليدالى) وهو عالم من علماء شنقيط ثم ذهب الى (اندر) فى رحلة تتعلق بعلم التصوف لدى العالم الصوفى الكبير الشهير (الحاج كمرا) وهى الرحلة التى توج بها رحلاته التعليمية .

هذا ، ومعلوم انه قبل انتقال الشيخ الوالد الى الرفيق الاعلى سنة ١٨٨٣ عن سن يناهز واحد وستين عاما ، كان قد ولاه الوالد مهمة التدريس وكتابة الوثائق ورد الأجوبة ، وفى هذه الاثناء كان (صمب لوب فال) آخر ملوك كيور قد عرض عليه اقتراحا باحتلال منصب القضاء والاستشارية فى بلاطه كما كان الوالد فى بلاط لتجور كونى لاتيرجوب الا ان الشاب (احمد بمب) اجابه بقوله : انا لا استطيع اقتفال هذه المدرسة أمام التلاميذ مقابل هذا المنصب الذى تعرضه على ..) وبهذه المناسبة نظم القصيدة التالية :

قالولى اركن لابواب السلاطين

تحز جوائز تغنى كل ما حين

فقلت حسبى ربى واكتفيت بـه

ولست راضى غير العلم والدين

ولست أرجو لاواخشى سوى ملكى
لانه جل يغنينى وينجينى

انى أفوض أحوالى لمن عجزوا
عن حال انفسهم عجز المساكين

أو كيف يبعثنى حب الحطام على
جوار من دوزهم روض الشياطين

اذا كنت ذا حزنا أو كنت ذا وطر
دعوت ذا العين قبل الراء والشين

وهو المعين الذى لا شئ يعجزه
وهو المكون ما شاء أى تكوين

اذ كان عيبى زهد فى حطامهم
فذاك عيب نفيس ليس يحزينى

لا غرابة فى ذاك أن علمنا أنه قال الشيخ الوالد فى احدى المناسبات : (اذا لم تفارق منصب القضاء والاستشارية التى ولاكم بها الملك لتجور كونى لاتيرجوب ومجالس الامراء مثله فسأقاطعك واهجرك لا محالة ..) .

مهما يكن أنه (أحمد بمب) لم يواصل التدريس بعد وفاة الوالد رغم الاعتذار الذى قدمه لـ (صمب لوب فال) سوى السنتين فقط ، لانه فى سنة ١٨٨٦ اسس قرية (دار السلام) واعتزل فيها ليتخلص من جموع القوم الذين بدأوا يفدون اليه من شتى الاقاليم والبلدان المجاورة ، الا ان ذلك لم يجعل حدا للذين

يزدحمون فى ساحته باستمرار ولذلك قال عنه الشاعر ابراهيم جـوب :

ترى النـاس أفواجا الى باب داره
كمكة يوم الحج الأكبـر للأمـل

كما قال عنه الشيخ سيدى بابا الشنقيطى :

النـاس عنك بواد يهـرعون بـه
وأنت من شأن هذا الناس فى واد ..

وعلى هذا الأساس لم يجد حيلة بازاء الناس الذين يفدون اليه ليل نهار فبنى أحمد بمب من جديد مدينة (طوبى) التى اتخذها مقرا للخلوة والعبادة الخالصة الا أن فراره عن النـاس وانطوائه على نفسه وانشغاله بالله دون غيره ورفضه على طول الخط على أن يكون بينه وبين النظـام الاستعمارى ادنى علاقة ثم امتناعه — لأسباب نجهلها — طلبية الاستدعاءات التى كانت ترد اليه من قبل النظـــام الاستعمـارى فضلا عن علاقاته بمن رفضوا الاذعان للحكم الفرنسى فلجئوا الى (غمبيا) وحشـود جموع النـاس فى مقره ليل نهـار وشائعات كانت تروج زاعمة أن شيخنا الشـاعر اشترى أسلحة وكون فيالقا متطوعة للقيـام بالجهـاد فى سبيل الله بزعامته ، هكذا فان هذه الاعتبارات القابلة للشـك — فى نظر المستعمرين — لم تكن بالنسبة لشـاعرنا الصوفى سـوى بداية مأسـاة متتابعة لم تخب أوارها حتى نفس شـاعرنا الصـوفى أنفاسه الأخيرة . بل بحكمهـا نفى مرتين على التوالى (١٨٩٥ — ١٩٠٢) الى غابون وداهومى ثم الى جزيرة (مايمبا) من ٣ يوليوز لسنة ١٩٠٣ حتى ابريل لسنة ١٩٠٧ الى مورتانيا .

* * *

بدات المأساة على الساعة الرابعة من نهار ١٠ اغسطس لسنة ١٨٩٥ عندما تم اعتقال شيخنا الصوفى فى مقره بـ (امبكى بارى) بجلف اثر مشادات نقل فى اثرها الى (اندر) عبر جيول و (كك) ولوغا . هذا ولدفع التهم الواهية التى وجهت اليه ظلما وعدوانا ودون اى مبررات معقولة أو أدلة كافية فانه نظم قصيدة طويلة فى أسلوب ساخر لاستهزائهم ومن تلك القصيدة اخترنا لكم الأبيات التالية :

يلجمة قد ثلثوا بضلالهم
من لم يكن ولد أو والد
أخرجتمونى ناطقين بأننى
عبد الاله وأننى لمجاهد
وظننتم أن المدافع عندنا
والكل منكم ذو قلى ويحاسد
ومقالكم حق فانى عبده
وخديم عبد الله وهو حامد
انى اجاهد بالعلوم وبالتقى
عبدا خديما والمهيمن شاهد
سيفى الذى يفرى طلى من ثلثوا
توحيده فهو الاله الواحد
ومدافعى التى انفى العدى
وبها يفارقنى عنيد قاصد

ذكر حكيم احكمت اياته
ممن يزحزح ما يريد المارد

اما رماحى فالاحاديث التى
وردت على الماحي ونعم الوارد

اما الفروع فاسهم قد حددت
لحديثه ان الفروع شواهد

اما الذى يتجسس الأسرار لى
فتصوف صاف جلاه الماجد

ان كان للاعتداء أسلحة
خيفوا فاسلحتى ته واجاهد

وبها يفارقنى شرارات تلتقوا
وتنازعوا والكل منهم حاسد

ويكون ربى لى أن يكون موحدا
من لم يكن ولد له ووالد

الله موجود بغير موجود
أو انه موجود كل موجد

هذا ولما تقرر نفيه بعيدا عن الأهل والوطن اثر مجلس خصوص انعقد بتاريخ ٥ سبتمبر لسنة ١٨٩٥ اتاه خفية واحد من أصحاب القلوب الطاهرة الذى تسرب اليه نبأ النفى آتاه يخبره بالاجراء الوشيك ضده ولكن ماذا كان موقف شيخنا الشاعر وما مدى التاثير الذى تركه النبأ . نبأ المكائد الاستعمارية الخبيثة فى نفسه انه قال :

وكل ما قد فعل الجليل

فذاك مطلقا هو الجميل

وكل شىء قد جرى فى ظاهر

وباطن قدرة ربى القاهر

من قال لى انت اليوم مغترب

عند النصارى ذوى الأسياف والمر

جوابه حسبى الله الحسيب هنا

وهو الحسيب الذى يغنى عن الزمر

هكذا ومع شروق نهار الخميس ١٩ سبتمبر لسنة ١٨٩٥ امتطى شاعرنا الصوفى متن القطار الحديدى الذى نقله من مدينة (اندر) وهو فى طريقه الى منفاه بغابون عبر مدينة (دكار) التى قضى فيها ليلة الجمعة ٢٠ سبتمبر لنفس السنة . تلك الليلة البيضاء المنيرة التى انطبعت ذكرياتها على صفحات ذاكرته المنيرة بأحرف ذهبية وبهذه المناسبة الأليمة يقول :

اذا ذكرت ذلك المبيتا

وذلك الامير والتنبيتا

طارت الى الجبار بالارماح

نفس ولكن ذب على الماحى

أن مداح المصطفى مع الصلاة

صلى عليه من حبانى بصلاة

لى قاد من اليه الناس

من النبى به انتقى الخناس

مـــدح النبى المصطفى ربــاحى
يقــود لى ما شئت من مبــاح

يقــود لى مــع الرضى أريــد
وقد كفـانى كل شيطــان مريــد

مـــدح النبى قاد لى ما لــم يــكن
لأحـــد قط ولى جــاد بكــن

من ظنتى غير خـــديم المصطفى
صــلى عليــه من هـــداه واصطفى

فغـــره الظن مـــع اللعـــين
فليستعد بربنـــا المعـــين

قـــد قلت بيتـــا وهو خير شــاهد
وليس من ســـمع كالمشـــاهد

عنيت بالله عن الأربـــــاب
وبحمـــد عن الأسبـــاب

عليه أفضل الصــلاة والســـلام
فى الآل والصحب المزحزحى الظــلام

هذا وبعد أن أمضى شهرين تحت رقابة جبرية فى مدينة (اندر) بقرب العالم المترجم الشهير ابن المقداد الاب (١٨٨٠ — ١٩٢٦) وهو ينتظر الحكم الذى سينزل عليه بعد انفضاد المجلس الاستثنائى الذى كان يدرس مشروع اعتقاله رسميا ثم نفيه خــارج البــلاد (السنغــال) نظم شيخنا الشــاعر قصيدة طويلة استهلها بقوله :

اسير مع الابرار حين اسير

وظن العدى انى هناك اسير

مسيرى مع الأخيار لله بالنبى

وأمر بريا الاله عوض مسير

شهورى وأيامى غدا لى شواهد

بكونى عبد الله وهو شهير

ستورى فى الدارين مدحى محمد

بنظم ونثر وهو نعم ستور

قصورى خلت والأهل عنى تفرقت

لمدحى الذى عنه المديح قصير

غرور الورى غر النصارى بكيه

وظنوا الظنونا والظنون غرور

لربى التفانى لا لهم تائبا له

من الذنب والآفات وهو غفور

غنيت به ربا وليا يقود لى

مرامى وانى شاكر وغفير

اموري له فوضت والقلب طيب

غريبا لدى الأعداء وهو بصير

رفيقى كتاب الله والمصطفى النبى

واصحابه فى البحر حين ادور

يظنوننى وقت اغتراب لديهم

اسيرا لهم والكل ثم يحور

حيـارى اسارى الشياطين والهوى

وانى لرب العـــرش جـل اسير

اسير الى دنى البـــر والبحـر عايد

ولست الى الفجـار عوض جل اسير

هذا وعندما أقلعت به السفينة من ميناء (دكار) بتاريخ يوافق ٢٠ سبتمبر لسنة ١٨٩٥ وهى تمخر عباب المحيط الاطلسى الى مجاهيل أفريقيا بالذات الى (غابون) بقى شاعرنا الصوفى متزنا ، رابط الجأش ، مرهف الحس وقوى الايمان ثابتا فى موقفه وساخرا بشأن معاكسيه الذين تآمروا عليه بأخفى الوسائل وبأمكر الطرق ... نعم نقل القرار بحكم النظر الى متى سيدوم مكثه فى المنفى هل سيعود الى أهله أم ماذا ؟ ولكن رغم كل ذلك انه قال :

كتبت فى البحـرانى لا أمـد يـدى

الى النصـارى عبيد المـال والطين

ان شـــاء من به أبقى الكـون بـه

دنيـا واخـرى بتصحيح وتـوطين

لله جـل يدى والقـلب مع بـدنى

وســاق لى ما عنـد السليطين

أنت الكريم الذى يعطى بلا سـبب

يا خير شـافـ شفى كلى بتحسين

ولست اخشى ولا ارجو سـوى ملكى

لانــه جــل يغنينى وينجينى

* * *

هكذا ولما خطى قدميه (الشيخ أحمد بمب) على رصيف جزيرة مايمبا يغبون شيخنا الشـاعر واقفا يتأمل البحر الذى يفصـله عن أهله ووطنه (السنغـال) وهكذا بدأ يخاطب البحر قائلا :

أيـا بحـر لا تثلث فربمـا
تعـالى عن التثليث أكرم به ربمـا
لى اشـهد بكونى عبـد من يغفـر
ذنبا وكونى خديم المصطفى بحر (مايمبا)
لى أشـهد بـأنى لا أداهن مشركا
خليلا حبيبـا للذى كرم الجنبـا
وانى خـليل للمنتقى حبيبـه
عليه سـلاما من كفانى به الكذبا
فكن ذا اضطراب مزيد من مخـافة
من الله وأشـهد أنى عبـد صبـا

لقد كان شيخنا الشاعر فى منفاه يحن كثيرا الى وطنه لذلك دوما يتمنى الرجوع اليه انه قال :

اجعـل رجوعى الى قومى سعاتنا
ولتكفينا يوم جمع الخلق نيرانـا
يسر رجوعى لطـوبى واحمنى وقنى
اذى الورى ولتطب ثم اسـكانا

لقد أمضى شاعرنا الصوفى اثنى عشر سنة اجتاز خـلالهـا أبشع وأشنع محاولات حيكت ضده ، وللتخلص منه والاعتداء على

حيـاته الا انه بعد ان حاولوا جـادين فلم يفلحوا ولم يقـدروا عليه ، ارجعوه الى السنغال نهـار ١١ نوفمبر سنة ١٩٠٢ ، هذا وبمجرد أن ارست السفينة التى كانت تقله من منفاه فى ميـناء مدينة (دكار) حيث استقبل بتلك الحفاوة البالغة والحمـاس التى تستقبل بهـا الأبطـال هذا وما أن وطئت قدماه أرض الميناء حتى أنشـد قائلا :

عفوت عن الأعداء طـرا لوجـه من
نفـاهم لغيرى سرمد الست أدفـع

نجـوت من فتن الأعداء اذ قصـدو
نى بالمـدافع طـرا والسـكاكين

أنيت اذ واجهـونى بالأذى لـكم
ورضيتم الكـل فى مثـل المسـاكين

هكذا كان موقف الشـاعر الصوفى رغم الاهانة التى لحقت به ودامت سبع سنوات ومع ذلك كانت الأيدى الخفية — دوما — تتحرك فى الخفاء ضده ، ونتيجة لذلك اعتقل من جديد نهار ١٨ يونيه لسنة ١٩٠٣ قبل نقله بتاريخ ١٩ يونيو لنفس السنة الى (صحوة المـاء) فى القطر المريتانى حيث أنزلته السلطات الاستعمارية بقرب الشيخ سيدى بابا الكبير . الا انه بفضل التدخلات المثيرة التى كان يقوم بهـا مساعده الأيمن (الشيخ ابراهيم فال) بفضل تلك التدخلات لرجع شـاعرنا الصـوفى الى السنغـال سنة ١٩٠٧ ليوضع من جديد تحت اقامة جبرية فى (جبين) القريبة من مدينة (لوغا) سنه

١٩٠٨ وذلك قبل ان يسمح بتاريخ ١٣ يناير سنة ١٩١٢ بالتوجه الى مدينة (جربل) حيث استقر مع عياله تحت رقابة جبرية حتى تاريخ وفاته نهار ١٩ يوليوز سنة ١٩٢٧ . ونقل جثمانه فى الخفاء ليلا الى مدينة (الطوبى) حيث دفن فى شرقى جامع الطوبى الذى يعد أكبر جامع من نوعه فى عموم أفريقيا حيث لا يزال تبره محجة الزوار الى يومنا هذا .

آثاره الأدبيـــــة :

لأحمد بمب البكى مؤلفات عديدة فى شتى الفنون شعـــرا كان أو نثرا أما أشهرها فهى (نهج قضـــاء الحاج) فى التربية الخلقية و (أم البراهين) فى التوحيد و (ســعادة الطـــلاب) فى علم النحو وقواعده .. و (مواهب القدوس) (وتزود الصغـــار) و (مقدمات فى مزايا المفتاح) و (الفلك المشحـــون) . و (مســـالك الجنان ومغالق النيران) وهذه الاخيرة قصيدة نظم خلالها شــاعرنا الصوفى بداية الهداية للامام الغزالى و (الجوهر النفيس) فى الفقه وهى الأخرى قصيدة نظم فيها شيخنا الصـــوفى نثر الامام الأخضرى و (ومنور الصدور) وهذه القصيدة فى حد ذاتهـــا اعادة ضمنية لقصيدته (ملين الصدور) وذلك فى قالب شعرى جـذاب مغـاير للذى استعمله قبلا و (جزاء الشكور) وهى قصيدة طويلة تؤرخ جانبا مهما من حياة الشيخ احمد بمب البكى . كل ذلك فضـــلا عن مجموعة كبيرة من القصـــائد القصيرة والتوســـلات التى نجدها متفرقة هنا وهناك .

بداية حياته الصوفية :

كان احمد بمب البكى — وهو لا يزال فى جحر الوالد مولعا بالعزلة والتخلى عن الجماعة لذلك قال عنه شاعرنا العملاق (مجخت كل) فى كتاب ارسله اليه قوله :

منى لأحمد بمب تارك الناس

غير الاله فامسى سيد الناس

لقد زكى هذه الخصلة الطيبة جولته الواسعة وتتلمذه لدى اكابر العماء الصوفيين الذين عاشرهم أولئك الذين سلك هو نهجهم وسيرتهم فى الزهد لكن فى الحقيقة ما هو الزهد فى نظر شيخنا الشاهر انه قال :

وأعلم بأن اصل زهد وورع

تعاهد القلب باخراج البدع

هذا وأن عرفنا بأن الزهد والورع هما يساوى اخراج البدع من القلب بقى لنا أن نعرف الاعتبارات الحقه التى اوصلته الى هذا الزهد الحقيقى . كان هم شيخنا الشاعر فى البداية هو الوصول الى الله توسلا بالاولياء والصالحين هذا ما حدا به الى الأخذ بالورد القادرى الذى بايع مؤسسها بأبيات جاء فيها :

يقولُ أحمد كالنقير جد

الطوبى القادر الورد

الحمد لله على كونى خديم

لحضرة القطب المكرم الكريم

يا شيخنـــا يا غوثنـا يا قطبنـــا

يا بعضنـــا بل كلنـــا يا حبنـــا

ها انني اليـــوم مبـــايع لكـــا

وخـــادما لا تحرمني فضلكـــا

هذا ، ورغم كل هذا الولاء والمبايعة فانه لم يلبث أن هجر الورد القـادري متمسكا من جديد بالورد الشـاذلي هذا وبعـد أن تمسك به ثماني سنوات كاملة هجره هو الآخر ليتمسك بالورد التيجاني وبذلك يقـــول :

مشـــايخي ســـيد الجيـــلاني

والشـــاذلي معـــه التيجـــاني

ودفاعا لهذا المواقف الذي يبدو في الظاهر أنه متناقض أنشد يبرر موقفه قائلا :

فـكل ورد يـــورد المـــريـــدا

لحضرة الله ولن يحيـــــدا

ســـواء انتمي الى الجيـــلاني

أو انتمي لأحمـــد التيجـــانـا

أو لســـواهما من الأقطـــاب

اذ كلهم قطعـــا على الصـــواب

هكذا ، كان الشيخ احمد بمب البكي ينشـــد ضالته لكن فلمـــا لم يجـد في انتســـابه الى هذه الطرق ما يشفي غليله او تتحقق الآمال العريضة التي كان يعلقهـا على مؤسس هذه الطـرق ، فقـد ثقته بهـا وانصرف عنهـا وبذلك قال :

اذ بان جهـرا انمـا الشيوخ
هذا الـزمان جلهم فخـوخ
وبعضهم تـركن للتصـدر
الى رياسـة بـلا تسـتر
ولم يميز بين فرض وسـنن
ويجـذب الـورى لمـوجب الفتن
ويـدعى الكمـال والولايـة
يدهن الـورى بكثرة الـرواية
وان مدحت عنده شيخا سـواه
اغاظه لحسـد وحب جـاه
وحيثمـا تذكر يهجـو غيره
يفـرح ولو درى الجميع خبـره
ولا يسره سـوى انفـراد
بالذكر والمـدح لذى العبـاده
وحيثمـا يمـل لغيره ابـدا
مسترشـد يهج غـرامه الحسد
وبعضهم تـراه ذا تعـمم
متـوج الـراس مع التـلثم
ويذكر الله كثير بلسـان
وقلبه ادنس من كل جنـان
ويظهـر الزهـد ولم يقصـد به
سـوى اقتنـاص المـال فلتنتبه

ويــدعى بعض الشــيوخ انــه

لا يأكل الـــزرع ويخفى شــائنه

تشبهــــا بمن يجـــاهدونا

نفوسهم والله يقصـــــدونــا

وبعضهم تـــراه ذا متنـــاع

من نظـــر النســـوان الاعدلين

تشبهـــا بالعـــلماء الأروعين

العـــاملين الخـاشعين الاعـدلين

وانــه لولا عيـــون النــــاس

لرامهن بـــزمن أو فـــاش

ومن أجل هذا — وكمـــا رأينا فانه عقد العـــزم على أن يجدد توبته ثم يتجـــرد عن كل ما ســـوى الله الخـــالق المهيمن تبـــارك وتعـــالى . ثم برســـوله المصطفى صلوات الله وســـلامه عليه ، تاركا الدنيـــا ورائه ، قائما بصلواته وصيامه وبذكره وتلاوته للقرآن الكريم انه قال :

ودادى لربى من تعـــالى عن العدد

وحمدى له اذ كان لى هـــوذ ومـــدد

الى الله أشكو قد فوضت أمرى موحدا

خـــديما لمـــن كـــرم الله ما فسد

وأيضـــا :

الحمـــــد لله الـــذى صرفنى

بلطفه عن بـــدع للســـنن

وجهت وجهى الى من بكن
يكون الشىء الذى لم يكن
استغفر الله الذى يجرى القضاء
باذنه فيما جنيت ومضى
هذا وانى اليوم ذو رضاء
با لله ربا حق بالثناء
وهدى الاسلام وسبيل
ومحمد نبيا ورسول
وبكتابه ويا ليت دليل
وقبلة لغيرها لست أميل

اغراض شعره :

ان كنا لا ننفى وجود نوع آخر غير المدح فى شعر الشيخ أحمد بمب البكى فاننا نقر أن أغلب مؤلافته تعالج موضوعا واحدا ذات خطوط عريضة مستقيمة تنطلق وتلتقى فى نقطتين تشكل كل منها على حدة رأس هرم ترتكز عليهما جل حياته وهما :

— الايمان بالله .

— التوكل عليه .

ثم تجرد كامل لمدح الرسول عليه الصلاة والسلام وهكذا بشىء من الدرس والتأمل والتحليل لشعره يتضح لنا أن هاتين النقطتين هنا اللبنة التى يقف عليها شيخنا الشاعر ويتخذها أطار لمناجاته الشعرية وبعبارة أخرى انه يقسم زمنه الى قسمين

قسم عام للصلاة وقسم آخر لمدح المصطفى عليه الصلاة والسلام الذى يقول فيه :

صلاة ستة بمدح ستة

تأتيه بتة مع انتماء

وأيضا :

نويت شكورا لله بالخط أزمنا

بمدح الذى كلى به فيه قد وكد

ان شعر شاعرنا الصوفى دوما ، منسوج بأسلوب تطغى على سياقه نظرة فاحصة وفكر عميق نافذ وعين مفتوحة بصيرة اذ المؤمن لا يستطيع الوصول الى المعرفة الحقة الى حضرة الرحمن بدون التفكير الصحيح وعلى هذا المعنى يقول :

واعلم بأن الفكر مرآة لمن

آمن بارحمن جل حيث عن

اذ فكر الفتى تريه الحسنات

مستبشرا تريد السيئات

ثمرتها لصاحب العرفان

وصوله لحضرة الرحمن

ان شيخنا الشاعر يسعى هنا جاهدا الى ايجاد قانون حتمى للحياة مثلما يفعل العلماء فى حقل البحث العامى او فى ميدان تجاربهم ولذلك نجد فى كل بيت من شعره ملامح قهر النفوس وتطويقها عن ملاذ هذه الدنيا الفانية انه قال :

لا تشترى الدنيا بأخرى يا فتى

من باع نورا بالدجى فسيندم

اقبلت الدنيا الى قبل

وزال عنى الكبل

وبعده عنى ادبر ولم

آمل لها لكونها دار طلسم

وبعده لى اقبلت وانى

اقبلت لله وابقى منى

فكل ما يكون زاد للجنان

بعد البيوع والجهاد ذا امتنان

* * *

شهرته :

لأحمد بمب البكى شهرة واسعة اجتاز حدود بلاد للسنغالية واسباب تلك الشهرة يمكن أن نرجعها الى عدة عوامل أهمها : ثقافته الواسعة ، سلوكه الشخصى مع السلطات الاستعمارية فضلا عن كونه مؤسسا وزعيما للطريقة المريدية فى القطر السنغالى ، هذا وقد قال فى حقه شنقيطى قوله :

اليك والا فالنجائب فى تعب

خديما للذى حلى بحلته الكعب

علوت الورى كعبا فحجك كعبة

ومن كل واد ينجون ومن هدب

فالحج ميقات فحجم دائم

فليس الا الشهرى جمادى ولا رجب

قطعت اليك البحر والبحر انته

وقاطع بحر نحو بحر من العجب

دكار فى ٣٠ مايو ١٩٧٤

الامضاء / جورتى سيسى

الخـــاتمـــة

انك ايهـــا القـــارىء الكريم تلاحظ حين مطالعتك لهذا الكتاب انني أسقطت أسماء كثيرة من بين شخصيات ثقافية وادبية بارزة في الفترة ما بين سنة (١٨٠٠ — ١٩٢٧) كما اقتصرت باتيان نماذج عن انتـــاجاتهم الفكرية ، وذلك لانني لا استطيع منع قلمي من الوثوب احيانا ، اذ انني في ميدان ضرب للأمثلة لا الحصر الجماعي فقيامي بالايجـــاز حيث ينبغي القيـــام بالشرح والتحليل والتعليق . ليس الا التحـــاشي في التطـــويل والاسترســـــال وراء معلومات ثانوية هامشية . كما أن قيامي بايراد أسماء البعض دون انتاجهم ، لا يعني اطلاقا أن الذين لم يرد اسمائهم وانتاجهم فيه دون زملائهم مقـــاما .

هذا ، وان كان لابد لي من عبـــارة أختم بها هذا الكتـــــاب فهـــي :

انني اعتبره ضوءا مسلطا على المعطيات التاريخية والثقافية فرضتها الأيام علينا فرضـــا .

جورتي سيبي

المحتوى

رقم الايداع ٨٤٩٤ / ٨٩

الخطـــا والصــواب

الصفحة	السطر	الخطـــا	الصواب
مقدمة	٩	الكارم	الكريم
١٤	٢٢	منها	منهما
١٩	٢١	باناير	بات
٢٢	٣	التى	الذى
٢٥	٦	كولى بات	كولى وبارت
٢٨	١٥	العام	العالم
٢٨	٢١	ينكر	يتبكر
٣٧	٨	١٩٢٦/١٨٥٣	١٩٢٧/١٨٥٣
٤٧	٢١	الحكم	الحلم
٤٩	٢٠	جوهرة	جوهره
٥٢	١٣	واخطر	افطر
٥٣	١١	السعدة	العادة
٥٩	١١	يكافون	يتكفلون
٦٧	٤	ادا	اذا
٧١	١٣	لمعروف	المعروف
٧٢	١١	تخطر	تتخطى
٧٤	٨	ففيه	نقيه
٧٥	١٨	معتطفا	مقتطفا
٧٦	١	فوموا	فرموا
٧٦	١٣	اجيان	احيان
٧٨	١٥	الحاى	الحامى
٨٢	١٧	يذوقون	يذيقون
٨٢	١٨	يسرى	يسوى
٨٤	١٦	بالتجور	بالتجور
٨٥	١٦	يتحمل	يحمل
٨٧	٦	كيف يتمنى	كيف كان يتمنى
٨٤	٢٠	لا تؤذن	تاذن
٩٢	٩	الا اذنب	الا اذنت
٩٥	٢٠	الحاكم	حاكم

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
٩٦	١	اجلّت	جالت
٩٦	٥	بتعمتهم	بتهمتهم
٩٩	١	الشكواى	شكواى
٩٩	١٠	الى	الا
٩٩	١٥	لمبارىء	البارىء
١٠٠	٦	بمد	بم
١٠١	٢	مأت	فأت
١٠١	١١	عاقره	فاقرة
١٠٢			
١١٣	١٢	الى من حمام	وحمام
١١٨	١٩	يذكر	يجدر
١١٨	١٠	نبرأة	يترأة
١١٩	٩	نداما	ندامانا
١١٩	٢٠	الثائى	الثانى
١٢٠	٦	الارباح	الارياح
١٢٣	١٧	ينسم	يتسم
١٢٤	١٠	دورا	دررا
١٢٥	٢٠	العالى	الغالى
١٢٧	٧	اسرعو	اسراعو
١٣٦	١١	لرسو	لرسول
١٤٠	١٩	اكتشف	كشف
١٤١	٣	حوالى	حوالى
١٥٢	٧	اولم يك	لم يك
١٦١	١٦	كساحر	الا ساحرا
١٦٥	١٣	النسيخ	للشيخ
١٦٧	٨	باجملة	ياجملة
١٦٩	٦	لمر	السمر
١٧٢	١٨	يعصى	يعطى
١٧٣	٢	شيخنا	بقى شيخنا
١٧٦	١٨	كالفقير	الفقير
١٧٧	١٦	التيجانا	التيجانى
١٨٠	٢٠	هنا هنا	همـا
١٨١	٢١	النفوس	النفس

هـذا الكتـاب

هـو تعـريف بسيرة بعض علمـاء السنغـال وابراز مـكانتهم وقيمـة أعمـالهم وانجـازاتهم الفكرية التى قدمت باللغـة العربية ، وهو عرض موجز بتاريخ دخول الثقـافة العربية الاسـلامية الى أفريقيا الغربية والى السنغال على وجه الخصوص .

وقد تنـاول أيضـا جانبـا من الغزوات والفتوحـات التى قامت فى غرب أفريقيا باسم الاسلام ، وذلك بأسلوب نقدى يخول القارىء تحديد ايجابيات تلك الغزوات والفتوحـات وسلبياتها .